20 me. année No 973

Le Caire 20-2-1952

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

أحمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٧٣ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢٩ جمادى الأولى سنة ١٣٧١ — ٢٥ فبراير سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

من مذكراتى اليومية

رسالة وصورة...

يحلو لى أن أهرب أحياناً من زمنى الحاضر لإثقاله أو إملاله ، فأرجع إلى ذكرياتى أجتر منها ما ألذ ، أو إلى مذكراتى أقرأ منها ما أحب

وفى هذه الساعة التى أكتب فيها للرسالة شعرت بضيق فى الصدر والفكر ، فألقيت بالقلم وقلت لنفسى : دعى الكتابة اليوم وتعالى نتفرج من هذا الغم برجعة إلى دنيا الماضى ، فلعل فى أصدائها الباقية ما يؤنس هذه الوحشة . وتذكرت أن شهر يناير قد عودنى الجميل فيما مضى من عمرى ، فقد سجلت فيه أكثر ضحكات القلب ، وحسبى منها ميلاد ولدىّ : رجاء والرسالة . ففتحت مذكراتى من صفحات هذا الشهر ، فوجدتنى قد كتبت فى يومه العاشر من عام ١٩٥٠ هذه السطور :

« أتى البريد الجوى إلىّ فى صباح هذا اليوم غلافاً من العراق على ورقه طابع الذوق ، وعلى خطه سمة الظرف . فلما فضضته وجدت فيه رسالة وصورة . قرأت الرسالة والإمضاء ، ثم تأملت الصورة والإهداء ، فإذا هما لآنسة من أوانس بغداد المثقفات ، قد أولعت بالأدب وأغرمت بأهله . ثم عدت أقرأ ، وعدت أتأمل . وطال تردد البصر والفؤاد بين الصورة وهى رسالة الجسم الجميل ، وبين الرسالة وهى صورة الروح النبيل ، حتى غاب حسى فى سكرة من سكرات الأحلام ، تراءت لى فى خلالها أطياف من تعاجيب الهوى والشباب ، تتراقص نشوى فى أزقة (الوزيرية) و (رأس القرية) من مغانى بغداد العزيزة وكلما عاد الحس أو كاد ، نظرت إلى الفم الحلو الذى يريد أن يبتسم ، وإلى الطرف الأحور الذى يهم بأن يقول ، وإلى الشعر المفرود الفاحم الذى يسيل على الأذنين وأطراف الخدين فيجعل الوجه كله صورة من الفتنة ، فتعود إلىّ الغفوة ، وأعود أنا إلى الحلم !

وأخيراً تخلصت قليلا من سحر الصورة لأرى صاحبتها الأديبة تقول أول ما تقول : «أعتذر إليك من الكتابة والاهداء على غير تعارف..» ولم يخل اعتذارها الصريح من احتجاج ضمنى على العرف الذى يفرق فى مثل هذا الصنيع بين الرجل والمرأة . فلو أنها كانت فتى كما تقول لما وجدت فى الكتابة إلى مثل ما يُعتذر منه . ثم تحدثت طويلا من صلتها بالرسالة وحرصها على أن تقرأ كل ما أكتب ؛ وخصت بالذكر رثائى للمرحوم على محمود طه ، وخرجت من ذلك إلى الكلام من شاعريته وعبقريته . ثم طلبت إلىّ آخر الأمر أن أخصص لتأبينه عدداً من (الرسالة) أكتب أكثره ! كل أولئك فى أسلوب رقيق دقيق يوحى أكثر مما يعبر ، ويمتع أكثر مما يقنع . ولم أكد أستوعب الرسالة بفكرى ، وأناقش موضوعها فى سرى ، حتى تناولت القلم وفتحت الألبوم وأجبت من الرسالة برسالة ، ورددت على الصورة بصورة ! ولكن هيهات وا أسفاه ! لن تجيب رسالة عقل عن رسالة قلب ،

امرأتان عظيمتان
من دولة المغول
للدكتور محمد بهجت

عندما يطوف السائح بمدن لاهور وأكرا ودلهي بشمال الهند تتفتح أمامه صحف عديدة من تاريخ المغول العظيم، حافلة بجلائل الأعمال وضروب البطولة، ويلمح في ثنايا تلك الصحف بعض السطور البارزة التي خطتها أنامل بعض نساء المغول في تاريخ تلك البلاد المجيدة. ومن أبرز نساء تلك الدولة سيدتان عظيمتا الخطر، ربطتهما وشيجة رحم وعاشتا في عصر واحد. كانت كلتاهما زوجة لامبراطور، وآيتي الجمال، وراجحتي العقل. تانكم المرأتان هما «نور جاهان» و «ممتاز محل».

أما نور جاهان فمن أصل فارسي، ضاقت سبل العيش في وجه أبيها — «مرزا غياث» — فأزمع الهجرة من طهران إلى الهند، عسى الحظ يبسم له هناك. وفي الطريق ولدت له ابنة سماها «مهر النساء». وكان مسافراً معه في القافلة تاجر ثري رقيق القلب اسمه «مالك مسعود» أخذته به وبعائلته البائسة شفقة فتولاهم بعنايته ومعونته طول الطريق حتى بلغوا دلهي بسلام. وهناك أراد «مسعود» أن يسدي يداً أخرى لصديقه المسكين فقدمه للإمبراطور «أكبر» العظيم الذي ألحقه بخدمته كما ألحق زوجه وبناته بالقصر مع حريمه. وبعد ما أبدى كفاءة وإخلاصاً في عمله أحبه الامبراطور وأدناه ورقاه.

وفي أثناء ذلك نشأت «مهر النساء» وترعرعت بين نعيم القصر وأبهته، وألفت حياة البذخ والترف. وما إن بلغت السابعة عشرة حتى زوجت من ضابط باسل بجيش الامبراطور اسمه «علي كولي». وكان هو الآخر فارسياً وسيم الطلعة، قوي البنية، خدم في أول الأمر الشاه إسماعيل الثاني — شاه الفرس — بأن كان نادلا يقدم له صحائف الطعام. وسرعان ما جذبته الهند واستهوته مغامراتها فهاجر إليها والتحق بخدمة أكبر. وهناك برزت مواهبه فألحقه بأركان حرب ابنه الأمير «سليم» عندما خرج على رأس جيش كبير لإخضاع ولاية «ميوار» فأبدى من ضروب البسالة والشجاعة ما حبب فيه الأمير وقربه إليه، وأجزل له العطايا والمنح، وسماه «شير أفغان» أي قاتل النمر لأنه أردى نمراً متوحشاً أمامه، وأصبح علما له فيما بعد. وبعد انتهاء الحملة، ولأمر ما، شق الأمير عصا الطاعة على أبيه ومليكه فانفض أكثر الضباط المخلصين من حوله ومن بينهم «شير أفغان» ولما كان من عادة جنود المغول استصحاب نسائهم في الحروب فربما عرضت للأمير فرصة لمح فيها زوجة صديقه الشابة الفاتنة. ويقول بعض الكتاب إنه رآها عدة مرات ترتع في حدائق القصر وردهاته فأسرت فؤاده وسكن طيفها قلبه حتى آخر عمره.

وسارت الأحداث سيرها إلى أن توفي «أكبر» واعتلى «سليم» عرش أبيه بعد حوادث دامية في الرابع والعشرين من شهر أكتوبر عام ١٦٠٥ وصار يعرف باسم نور الدين محمد وبكنيته «جاهان جير» أي القابض على ناصية العالم. وفي يوم ما تذكر صديقه القديم فاستدعاه وصفح عنه وأسند إليه منصباً كبيراً بعيداً ببنغالة. وهنا تختلف رواية المؤرخين، فبعضهم يقول إن حب «مهر النساء» استبد به وعصف بقلبه فأرسل إليها رسولا خاصاً يغريها بهجر زوجها والالتحاق بالامبراطور المتيم بها، فأبت كل الإباء، وغضبت لهذه المساومة الدنيئة، وكذلك ثار زوجها لشرفه، فأوعز الرسول إلى الحاكم أن يغتاله، فاغتيل مدافعاً عن كرامته وعرضه، ثم حملت زوجه وابنتها الطفلة إلى العاصمة وألحقتا بجناح الملكة «سليمة». والبعض الآخر من المؤرخين ينفي هذه الرواية بل يستنكرها بقوة قائلا ببراءة الامبراطور من هذه التهمة القذرة، ويفسر ما حدث بأن الأخبار ترامت إلى الامبراطور بأن «شير أفغان» ثائر عليه باستدعائه إلى العاصمة ليشرح موقفه منه، وليمتحن إخلاصه له، فأبى. وعند ذلك أراد «قطب الدين كولا» حاكم بنغالة أن يقبض عليه فعلاه «شير أفغان» بسيفه وأصابه بجراح بالغة، وعند ذلك

وأن ترد صورة قبيحة على صورة (مليحة)!

ما أيسر السعادة على ابن آدم لو يدري أو لو يريد! إن كلمة من قلب مفتوح، أو بسمة من شفة بريئة، أو نظرة من عين حبيبة، أو فقرة من رسالة شاعرة، أو قسمة من صورة فاتنة، لتستطيع أن تنير ما أظلم من قلبه، وأن تفرج ما اشتد من كربه! إن السعادة فتات وفترات، فلا تكون في واحد صحيح، ولا تدوم في زمن متصل! احمد حسن الزيات

انقض عليه حرسه وقطعوه بسيوفهم إربا . وهكذا فصل الموت بين ذينك القلبين المتحابين بعد ستة عشر عاما من زواج سعيد موفق

وفى شهر مايو من عام ١٦١١ أى بعد ست سنوات من اعتلاء « جاهان جير » العرش وبعد أربع سنوات من مقتل « شير أفغان » أعلن الامبراطور زواجه من « مهر النساء » بالغا من العمر اثنتين وأربعين سنة ، أما هى فكانت تصغره بتسع سنوات . وهكذا أصبحت الطفلة التى ولدت فى الطريق من أب رقيق الحال ، والفتاة التى أوردها الحظ موارد النعيم ، والأرملة الشابة الفاتنة التى بكت زوجها الحبيب أربع سنوات ، إمبراطورة لدولة عظيمة ، وهكذا بدأت هذه المرأة الفذة تملى على التاريخ يكتب

نحن لا نعلم على وجه التحقيق كيف رضيت أن تتزوج من الامبراطور بعد طول إباء ، وأغلب الظن أنها توسمت فيه أداة المجد والشهرة ، ووسيلة لتحقيق مطامعها الواسعة . ولكن دلت كل الدلائل فيما بعد أنها أحبته وأخلصت له مثلما أحبت زوجها الأول وأخلصت له . أما هو فقد هام بها هياما شديدا وأخذ يغمرها بأجزل العطايا الثمينة ، ويغدق عليها أكثر ما يمكن أن يغدقه امبراطور عظيم على أميرة روحه ، ومصدر سعادته ، ثم إنه اشتط فأمر بنقش اسمها بجوار اسمه على النقود ، الشئ الذى ليس له نظير فى التاريخ الإسلامى . وكان يدللها بأعذب الألفاظ وأرقها فسماها أولا « نور محل » غير أنه استقل ذلك فعدله إلى « نور جاهان » أى نور العالم ، وهو الاسم الذى عرفت به حتى الآن . وإذا علمنا أن « جاهان جير » كان رجلا فظا غليظ القلب ، سريع البادرة ، صريع الخمر ، لدهشنا كيف استطاعت هذه المرأة القديرة أن تسيطر عليه وتجعله طوع بنانها. فإذا ما انتابته نوبة من نوبات الغضب الجارف لم يجرؤ أحد أن يدنو منه سوى زوجته الحبيبة ، فتطفىء تلك النار الخبيثة التى تأكل روحه بلمسة رقيقة أو بسمة مشرقة أو كلمة عذبة ، فينقلب وادعاً مستسلماً ، فكانت بحق مروضته الوحيدة

ومن أهم مزاياها التى أسرت بها القلوب واستعبدت الرعية ، الكرم الحاتمى والعطف على الفقير الذى كانت له بمثابة الغيث ينزل على الأرض الجديبة فيحييها . لم ترد طالب رفد ، أو تخيب أمل قاصد . وكانت راعية الفتيات الفقيرات تزوجهن وتمهرهن وتيسر لهن العيش الكريم . وكم من ضعيف حمته ، ومن مظلوم أنصفته وانتصفت وانتصرت له . ثم إنها شملت أقاربها بسامى رعايتها ، فجمعتهم حولها وأسندت إليهم المناصب العالية ، فأصبح والدها رئيساً للوزراء مع لقب اعتماد الدولة ، وأخوها آصف خان رئيساً لتشريفات الإمبراطور مع لقب اعتماد الدولة أيضاً ، كما أصبح من أعظم رجال الدولة مالا وجاها .

وفضلا عن جمالها الساحر وأنوثتها الجارفة كانت « نورجاهان » شاعرة مجيدة ، رهيفة الحس ، واسعة الأفق والخيال ، مصقولة الذوق ، عالية الثقافة ، ملمة بالآداب الفارسية والعربية ، فكانت تهدهد الإمبراطور بشعرها الناطق الرقيق ، وبمقطوعاتها العذبة المسكرة . وكانت تضع جميل الرسوم للمنسوجات ، وتبتكر الأزياء فى الملابس والحلى بذوق رفيع نادر لم يعهد من قبل فى بلاط الإمبراطور .

ومن عجب أن امرأة هذه بعض صفاتها تكون قوية البنية ، صلبة الخيزرانة ، مولعة بالألعاب الرياضية ، بل وفارسة من الطراز الأول ، تمتطى صهوات الجياد ، وتخوض المعارك بشجاعة نادرة وثبات عجيب ، فلا يطرف لها جفن ، أو يتزلزل لها جنان فى أخطر المواقف وأحلك الملمات . وكثيراً ما رافقت زوجها فى حفلات صيده ، وقتلت بعض النمور المفترسة أمام الامبراطور المعجب ، الذى لم يسعه إلا أن يهدى إليها سوارين من الماس النادر ، وأن يأمر بتوزيع ألف كساء على الفقراء ، إعراباً عن فرط سروره ببطولة زوجته . وسوف تقف على المزيد من ضروب شجاعتها بعد قليل

وبجانب هذا كله استطاعت « نور جاهان » أن تدير شؤون الملك بيد حازمة ، وعقل راجح ، وعين يقظة ثاقبة ، تنفذ بها إلى بواطن الأمور ، وأعماق السرائر ، فلم تفتها شاردة ولا واردة من شؤون الدولة ، وأحاطت بجميع المسائل السياسية والعسكرية إحاطة تامة ، حتى تهيبها رجال السيف والقلم ، الذين لم يكونوا أنداداً لمناقشتها ، فكانوا يأتمرون بأمرها راكعين . أما أكابر البلاد وسراتها ، فكانوا يقدمون لها فروض الطاعة ، ويبتغون

مرضاتها ، علماً منهم بأن سعادتهم أو شقاءهم رهن بكلمة تخرج من بين شفتيها ، أو بإشارة عابرة من يدها ، حتى لقد قال عنها بعض المؤرخين : « إنها قوة من وراء العرش »

ولو أن الأمور اقتصرت على ذلك لختمت هذه المرأة حياتها خاتمة سعيدة ، ولتمت لها حياة راضية هنيئة لم تتم لامرأة أخرى . فقد كان إيثارها لأفراد أسرتها ومحاسيبها ، وخصهم بأرفع المناصب عاملا من العوامل التي أوغرت عليها بعض الصدور ، وباباً تسربت منه عوامل الفساد ، بما فيها الرشوة واستغلال النفوذ .

ثم إن مطامعها أملت عليها أن تضمن العرش لابنتها من زوجها الأول ، فكيف دبرت ذلك .

كان للامبراطور أربعة أبناء هم خسرو وكرام وبارفز وشهريار . فأيهم تختار ؟ كان خسرو ثائراً على أبيه ، واشتبك في عدة معارك دموية مع جيوش الامبراطورية ، ولكنه هزم في آخر الأمر ، وأسر ، وسملت عيناه ، وأودع السجن . ومع ذلك فقد كان محبوباً وله أنصار كثر . وأما كرام فقد فكرت فيه كثيراً ، وراقبته طويلا ، وأيدته إلى حين ، غير أنها عدلت عنه لما تبين لها من قوة شكيمته ، وشدة مراسه ، فضلا عن أن أخاها « آصف خان » سبقها إليه ، وزوجه من ابنته . وأما بارفز ، الوارث الشرعي للعرش ، فكان تافه الشخصية ، احتضنه « مهابت خان » ، القائد الكبير الذي ناصب « نور جاهان » العداء ، « وأخذ ينصب حولها شباك المؤامرات . إذاً لم يبق أمامها سوى « شهريار » الذي زوجته من ابنتها في عام ١٦٢٢ وسندته بقوة ، وأخذت تدفعه قدماً نحو العرش . ولننظر الآن كيف انتهى ذلك الصراع بين تلك المعسكرات الثلاثة

رق قلب الامبراطور لابنه السجين « خسرو » فأطلق سراحه ، ولما خافت « نور جاهان » مغبة ذلك أفسدت العلاقة بينه وبين أبيه الذي أمر بوضعه تحت يد قائده « مهابت خان » ليرى فيه رأياً ، ولكن الأخير سلمه بدوره إلى أخيه الأمير « كرام » الذي أمر بقتله فوضع بذلك حداً لآلامه ، ولمتاعبه الحزن ، وتخلص من مزاحم له على العرش

ثم حدث أن استولى شاه الفرس « عباس » على قندهار ، فأمر الامبراطور ابنه البطل « كرام » (شاه جاهان) بالتوجه إليها واستردادها . ولكنه تردد بعد أن أبصر يد « نور جاهان » تقصيه عن طريق العرش وتمهدها « لشهريار » الذي طلبت من الامبراطور إسناد القيادة إليه ، كما طلبت منه أن يأمر « شاه جاهان » بإعادة القوات التي تحت إمرته إلى العاصمة . وبعد ما حاول عبثاً أن يصلح ما بينه وبين أبيه ، وأن يخلصه من نفوذ زوجته التي يوشك أن يقوض أركان الامبراطورية ، ثار عليه وهاجم أكرا عام ١٦٢٣ م ولكن هزمته جيوش أبيه تحت إشراف « نور جاهان » وبمساعدة أنصارها من الضباط القدماء ففر جنوباً إلى الدكن . وبعد محاولات عديدة فاشلة لاستثارة حكام الولايات ضد والده ، وبعد عدة مغامرات تبادله فيها الحظ والنحس ، وبعد معارك شديدة مع جيوش الامبراطورية التي كانت تطارده حيثما ذهب ، هزم في معركة فاصلة على يد أخيه الأمير « بارفز » « ومهابت خان » واستسلم لهما بعد أن هجره كثير من ضباطه وانحازوا إلى جانب قوات أبيه ، ونزل عن كل ما كان في قبضته من أراض وقلاع وحصون ، واضطر إلى كتابة خطاب لأبيه يعتذر عما فرط منه ، ويستعطفه ، ويطلب منه الصفح والغفران . وتأكيداً لحسن نواياه أرسل ابنيه « دارا » « وأورانك زيب » إلى دلهي رهينة ، كما أرسل لوالده هدايا ثمينة تقدر بنحو مائة ألف روبية . فصفح عنه والده بناء على نصيحة « نور جاهان » التي أوجست خيفة من تحالف الأمير « بارفز » « ومهابت خان » ثم اعتكف مع زوجه وابن له يسمى « مراد » في بلدة ناسك الصغيرة ، مرتقباً الفرص

بعد ذلك وقفت « نور جاهان » وجهاً لوجه أمام « مهابت خان » فاتهمته بالاختلاس واستغلال النفوذ ونشر الفساد وجرد صهره من ثروته ، ووجهها بالسؤال : من أين لك هذا ؟ ثم صدر أمر الامبراطور له بالتخلي عن القيادة العليا للجيش ، وبتولي حكومة ولاية بنغالة . فأبدى الأمير « بارفز » استياءه العظيم واحتج عبثاً على سوء معاملة القائد الأكبر الذي عيل صبره واشتم رائحة الغدر ، فاعتزم أمراً خطيراً وهرب في خمسة آلاف مقاتل من الراجبوت الأشداء ، وأخذ يقتفي أثر الامبراطور

فشاهده يعبر قنطرة على نهر « جهيلم » ، بعيداً عن حرسه ، فأطبق عليه وأسره . وكانت مفاجأة مؤلمة لمعسكر « جاهان جير » ووقع فيه اضطراب عظيم ، وهربت « نور جاهان » مع أخيها « آصف خان » الذي كان معها . ولكن عزمها أبى أن تتخلى عن زوجها في محنته ، فدبت فيها النخوة والحمية والنجدة ففكرت راجعة وحضت قائد الجيش « فدائي خان » الذي قام بهجوم عنيف لم يكتب له النجاح لفرار الضباط والجند ، ولحالة الفوضى التي كانت سائدة . وعندئذ تجلت شجاعة هذه المرأة العظيمة ، فامتطت ظهر فيلها الهائل ، وتقدمت به على رأس من تبعها من الجند الذين دهشوا لجرأتها ، فهجمت على الأعداء هجمة صادقة وهي تمطرهم بوابل من السهام ، وحاولت في تقدمها عبور النهر ، ولكن أسرع جنود « مهابت خان » إلى إشعال النار في القنطرة ، فلم يثن ذلك عزمها واستطاعت أن تصل إلى الشاطئ في وجه مقاومة عنيفة ، تتطاير السهام من حولها ، وتتفجر الكرات النارية حول هودجها . وهنا بلغ الروع أشده والفزع غايته ، وأخذت الخيل والأفيال والفرسان تساقط في النهر وتداس وتهرك . ثم قتل سائق فيلها فجمح بها الفيل وغاص في ماء النهر ، ولكنه بلغ بها الشاطئ مرة أخرى ، فاندفع نحوها النسوة يولولن ، والخلصين من الجند والحاشية يدرأون عنها السهام والرماح بأجسامهم ، ويفدونها بأرواحهم . أما هي فجلست هادئة ، مخضوبة بالدم ، تنزع سهما أصيبت به حفيدتها من شهريار ، وتضمد جراحها هي . ولما رأت أن لا جدوى من المقاومة ، رضيت بالأسر مع زوجها ، عساها تستطيع إنقاذه . أما أخوها فارتد بالثلاثة آلاف مقاتل الذين كانوا معهم واعتصموا بحصن قريب . وفي الأسر استخدمت أسلحة أخرى فعلت مالم تفعله أسلحة الحرب . استعانت بذكائها ودهائها وجمالها ... فاستمالت إليها ضباط « مهابت خان » ثم استولت على كنوزه — ولما رأى ذلك نجا بنفسه وبنفر قليل من أنصاره وفر إلى الدكن حيث وافى « شاه جاهان » وتحالف معه على « نور جاهان » واستعجل القدر خاتمة الرواية فات الأمير « بارفز » عام ١٦٢٦ م . أما الإمبراطور المسن فقد تابع سيره إلى كابل ثم عاد منها إلى كشمير لقضاء فصل الصيف . وفي أواخر عام ١٦٢٧ م . حينما كان عائداً من مصيفه بكشمير مرض مرضاً شديداً ومات في الطريق ببلدة « بهمبار » ومنها نقل جثمانه إلى حديقة « نور جاهان » المعروفة باسم حديقة « دلكوشا » بشاه دارا إحدى ضواحي مدينة لاهور . وهناك كانت « نور جاهان » بجانب نعش زوجها تبكيه بدموع غزار إلى أن ووري التراب ، وأمرت بإقامة ضريح فخم له . وبعد أن تمت مراسم الدفن أعلن الأمير « شهريار » نفسه إمبراطوراً في لاهور ، تؤيده حماته ، وفي نفس الوقت طير « آصف خان » نبأ موت الامبراطور إلى صهره « شاه جهان » الذي كان بالدكن فأسرع نحو الشمال برفقة « مهابت خان » على رأس جيش كبير ليفوز بالعرش . وشغلا للعرش الشاغر بأكرا نصب « آصف خان » ابن خسرو (دوار بخش) إمبراطوراً إلى حين وصول « شاه جاهان » ثم تقدم على رأس جيش قوى إلى لاهور . وهناك حاولت « نور جاهان » أن تتصل بأخيها لتستميله إلى جانبها ولكنه أعرض عنها وانقض على جيش شهريار وهزمه هزيمة منكرة وأسر « شهريار » وسملت عيناه ثم قتل بعد ذلك . ولما وصل « شاه جاهان » أعان آصف خان الامبراطور المؤقت على الهرب ؛ أما أبناؤه وأتباع شهريار ونور جاهان فقتلوا شر قتلة ، وكان الإسراف في القتل شديداً لدرجة ألجأت بعض نساء القصر إلى الانتحار . وهكذا سار « شاه جاهان » إلى العرش في طريق مخضب بالدم مرصوف بالجماجم . وكان ذلك في السادس من شهر فبراير عام ١٦٢٨ م

أما « نور جاهان » فلم تمس بسوء ، أو تمتهن كرامتها ، بل لقيت كريم الصفح ، وعظيم الاحترام والعطف ، وأجرى عليها الإمبراطور الحليم معاشاً سنوياً ضخماً يضمن لها حياة كريمة . ولما رأت يديها خالية من زوجها الحبيب ، وصرح آمالها منهاراً أمامها ، والدنيا عنها مدبرة ، لبست الثياب البيضاء حداداً على زوجها ، واعتزلت الحياة العامة ، وزهدت في مظاهر البذخ والأبهة ، وعاشت مع حفيدتها أرملة « شهريار » عيشة بسيطة إلى جانب قبر زوجها في لاهور إلى أن ماتت في الثامن من شهر ديسمبر عام ١٦٤٥ .

طافت برأسي قصة هذه المرأة العظيمة وأنا واقف بحديقتها

اللغة الفرنسية في مصر

للأستاذ محمد محمود زيتون

اللغة الفرنسية — أو اللغة الأوروبية الإضافية في مصر هي العامل المساعد للاستعمار الإنجليزي في الشرق ! فقد داعبت نابليون أحلام الامبراطورية الفرنسية ، فشرع في احتلال مصر وهي « تاج العلاء في مفرق الشرق » كما يقول شاعر النيل

وتعاقدت إنجلترا وفرنسا سنة ١٨٩٠ ثم سنة ١٨٩٩ على اقتسام مناطق الاستعمار فيما بينهما بحيث تطلق إحداهما يد الأخرى في الأمم المستضعفة تفعل بها ما تشاء ، فلما أعلنت إنجلترا الحماية على مصر سنة ١٩١٤ لم تشأ إلا أن تترك لفرنسا دوراً ثانوياً في مصر ، إذ جعلت لغتها إضافية إلى جانب الانجليزية المتسيدة بينما خلا لفرنسا الجو في سوريا ولبنان وتونس والجزائر ومراكش والمستعمرات الإفريقية

ومنذ يومئذ واللغة الفرنسية تؤدي دورها في الحدود المرسومة، حتى تمكنت من جعل الزعماء أداة طيعة للاستعمار يستهينونه في يسر ويجترونه في غير عناء ، وما كان ذلك ليكون لو أن الزعامة قائمة على رصيد شعبي

ومن الألاعيب الإنجليزية الفاجرة توزيع الاستعمار الثقافي بين اللغتين الإنجليزية والفرنسية بغية الفتنة ، ورجاء تحويل الأنظار عن التراث العربي والمجد الإسلامي ، وكأنما كتب على المصريين أن يتعلموا هاتين اللغتين ولا مفر من ذلك ؛ كما لا مفر من القضاء والقدر

غير أن القومية المصرية كانت قد تبلورت تماماً ؛ فلما اصطرعت مع الاستعمار الفرنسي صمدت له وردته في قوة وإباء . وكان نابليون أول من فطن إلى هذه الحقيقة؛ إذ كتب في تعلياته للقائد كليبر « إن من يكسب ثقة كبار المشايخ في القاهرة يضمن ثقة الشعب المصري » وكذلك بوسليج في تقريره إلى الحكومة الفرنسية إذ يقول فيه « إن اختلاف العادات — وأهم منه اختلاف اللغة وخاصة اختلاف الدين — كل ذلك من العقبات التي لا يمكن تذليلها والتي تحول دون إيجاد صلات الود بيننا وبين المصريين .. »

فالدين واللغة والعادات في مصر هي الأثافي الثلاث التي لم يستقر عليها قدر الاستعمار الفرنسي ، فانهار ولم يعد له قرار ، ولا سيما بعد إفلاس الحملة من كسب ثقة الشعب ممثلا في « كبار المشايخ » وهم حماة الدين ، ودعاة اللغة ، ورعاة العادات ، وسدنة المقدرات القومية

وسجل التاريخ للشعب المصري كفاحه ضد الاستعمار الإنجليزي في المحافل الأوروبية التي هزها الشاب المجاهد مصطفى كامل ، خطابة وكتابة ، فكان له « اللواء » الأعلى في الدفاع عن القومية المصرية

أما « السعي بكافة الطرق السلمية المشروعة في سبيل الاستقلال — كما أراد سعد زغلول — فإنه لم يدفع بالقضية إلى الأمام كما كان منتظرا بعد مصطفى كامل ، بل أصيبت بنكسة مزمنة باضت جراثيمها وأفرخت في أدمغة أذهلها الفراغ الفكري من حدود (الوكالة) التي أجمعت عليها الأمة (الطيبة القلب) من أصحاب الجلاليب الزرقاء »

وفي سنة ١٩١٩ نهض زغلول فرفع مذكرة الوفد المصري إلى المسيو فريسنييه رئيس مجلس الشيوخ الفرنسي يستصرخه في

بشاهدارا بعد أن متعت نفسي بمشاهدة ضريح زوجها الرائع الذي قست عليه يد الإهمال ، وشوهت الكثير من محاسنه ، وسألت رائدنا عن ضريحها الذي توقعت أن يكون في عظمة باقي آثار المغول . فأشار بيده إلى مكان قريب وقال إنه لا يستحق الزيارة لأنه من البساطة بحيث لا يلفت النظر أو يثير الاهتمام . وقد أوصت بأن يكتب على قبرها شعر بالفارسية من نظمها معناه :

لا يكون على قبري مصابيح أو أزهار ، حتى لا تحرق الفراشات أجنحتها ، وحتى لا تأتي البلابل لتغني على الأزهار

(البكلام بقية) محمد بهجت

التحرر من الحماية الإنجليزية وجاء في هذه المذكرة المعروفة :

« .. هل مصلحة فرنسا العامة يمكن أن تلزم حكومة الجمهورية بأن تتخلى كلية عن شعب مدنيته الحديثة ظاهرا عليها الروح الفرنسية ، عن شعب تربيته ونظامه الإداري والقضائي يحمل الطابع الفرنسي ، عن شعب تشغل الآداب الفرنسية عنده المحل الأول كما يظهر ذلك لكل من يلاحظ ذوق الخاصة ، ومن يطلع على الآداب الوطنية

مهما يكن من أمر تلك المصالح التي تدفع حكومة الجمهورية للتنازل عما لفرنسا من السيادة الأدبية في مصر ، يستحيل معها — حتى ولو كان ذلك من مصلحة الديمقراطية الفرنسية — أن تنكر فرنسا تعهداتها التي ارتبطت بها نحو الأمم الصغيرة .. »(١)

ماذا ؟ .. أهو دفاع عن استقلال أم اعتراف باحتلال ؟ .. وهل في سبيل المجاملة المرجاة ، تزل قدم المحامي حتى يوقع موكله في ورطة مزرية ، ؟ .. ومن أين لفرنسا هذه « السيادة الأدبية في مصر » وذئابها الفاتكة قد يئست منها فعادت إلى بلادها جائعة تتلوى ؟

وليس أمعن في الانحلال من الشعور بصعوبة التخلص منه والندم على الاستعمار كلما تقلص ظله ، فليتأمل كل مواطن بصير هذا الخطاب الذي وجهه زغلول مصر إلى المسيو موريس لونج مقرر اللجنة البرلمانية الفرنسية ، ومقرر المسألة المصرية لدى لجنة الصلح :

« .. إنه ليشق علينا أن نصدق أن الفرنسويين يقبلون عن طيبة خاطر أن ذلك الطابع المطبوعة به تربيتنا الدنية والعسكرية من قرن مضى تعفو آثاره عفاء تاما ، يشق علينا أن نصدق أنهم يقبلون أن القوانين الفرنسوية التي استمدت قوانيننا نصوصها منها ، وبانت متأصلة في نفوس المصريين وعوائدهم حتى أصبحت اليوم جزءا من رأس مالنا الاجتماعي ، ولا يكون لها أثر في الأساس الذي تستند عليه مدنيتنا المصرية — وأن اللغة الفرنسوية الجميلة المنتشرة في مصر أكثر من أي بلد أجنبي آخر ، والتي بات لزومها في طبقاتنا المستنيرة لزوم لغتنا الخاصة نستعملها في معيشتنا العائلية اليومية بالسهولة التي نستعملها في حياتنا الأدبية يكون مصيرها إلى الزوال ، وأن دور التعليم المتنوعة الأشكال والتي أنشأتها فرنسا في مصر والتي استوجبت منها بسببها عظيم الحمد وجزيل الشكر توصد أبوابها ، وأن الإرساليات التي نبعث بها إلى فرنسا ليرشف أبناؤها من منابعها الفياضة لبان المعارف والعلوم والفنون ينصرم حبلها

وصفوة القول أنه يعز علينا أن يرضى الفرنسويون بأن يوقف تيار النمو وهو بالغ منتهى سرعته في الشركات الفرنسوية والبيوت التجارية والبنوك وغيرها بين ظهراني أمة تحب فرنسا وتفضل كل ما هو فرنسي على جميع ما عداه

لا شك أن الشعب الفرنسي — وهو أشد الشعوب تمسكا بالكماليات وأحرصهم على صون مهمته التاريخية في العالم — لا يمكن أن يغض الطرف بسهولة عن الامتيازات التي يضمنها له في وادي النيل ماض مفعم بأحسن العلاقات ودا ، وأكثر المصالح انتشارا .. » (٢)

هذه هي الجناية على القومية المصرية باسم المطالبة برفع الحماية ، وإن المواطن اليقظان ليعجب كل العجب كيف أفلتت هذه الصفقة السياسية من الحراسة الشعبية ، وكيف جازت على المصريين حتى أسلمتهم « اليد الأمينة » إلى تجار الرقيق ، وسماسرة الاستعمار ، ولم يعد لهم من الحرية ما يمكنهم من نزع هذا النير الغليظ من أعناقهم الكليلة

وإن هذا الاستجداء هو الذي أطمع فرنسا في استعمار مصر ثقافيا ، بعد أن عجزت عن احتلالها ، فلا أقل من أن تسير وفق الخطة الإنجليزية وهي استفراغ العقلية المصرية من مواهبها ومآثر تراثها ، فتوسلت إلى ذلك باللغة الفرنسية ، التي بلغ بها التواضع إلى أن قبلت السير في الركاب الاستعماري الأعزل ، وتظاهرت بالتساهل والتقرب إلى الناشئة في الوقت الذي يشيع فيه الذعر والهلع من (البعبع) الأساسي ، وجعل

(١) محمود أبو الفتح : مع الوفد المصري

(٢) مع الوفد المصري : ١٩٧ — ١٩٨

للغة باريس ثلاثون درجة بحد أدنى قدره تسع درجات ، بينما جعل للغة التاميز خمسون بحد أدنى قدره عشرون

وبين يدى مجموعة وافية من امتحانات الثقافة العامة فى مدى عشر سنوات ، وإلى القارئ أسوق هذه الملاحظات عليها :

١ — خلو الامتحان فى بعض السنين خلوا تاما من دروس القواعد ، مما أدى إلى الاستهانة بها أثناء الدراسة باعتبار أن التلميذ — كما هو الواقع — لا يدرس إلا من أجل الامتحان فقط

٢ — تحول الامتحان من اختبار فى المعلومات إلى اختبار فى الأرقام ، فقد جاء فى أحد الامتحانات سؤال : ما ارتفاع برج إيفل ؟ ومعنى ذلك أنه يجب حفظ رقم ثم التعبير عنه كتابة فهو امتحان لامتحان

٣ — الإيحاء بالمادة الذهنية : وذلك بابتداع (الأرتوجراف) وخصم درجة عن كل ثلاثة أخطاء ، فى حين يخصص للإنشاء ١٥ درجة ، ويحرص التلميذ عادة على حفظ نموذج له فينجح من غير تعب

٤ — تجاهل حدود المنهج أحيانا ووضع أسئلة خارجة مقررة على السنوات الأعلى ، وعدم مراعاة ذلك عند التصحيح

٥ — عدم تنويع الأسئلة ، والاكتفاء بجزء من المقرر ، للحظ فى اجتيازه دور كبير ، وكان الأولى أن يستوعب الامتحان معظم الدروس المعطاة

وبالجملة فإن طريقة الامتحانات فى اللغة الفرنسية على هذا الوجه تعمل على احتقار عقلية الناشئ ، وإهمال قواعد التربية ، وتحويل الامتحان إلى (ورقة يانصيب)

ودعائم التربية ثلاث : المعلم والمتعلم والعلم . أما المعلم فهو الوسيط بين طرفين ، وليس فى الإمكان إهمال مهمته أو التغاضى من خطرها ، فلنتساءل : ما مؤهلات مدرسي هذه اللغة ؟

الواقع أن مدرس الفرنسية فى مصر لا يخلو أن يكون أحد ثلاثة : أجنبي — أو مصرى متخصص أو مجاز بمثة — أو غير متخصص أو غير مؤهل . وهذا الصنف الأخير هو الغالبية الساحقة ، فإن الأجانب والمصريين الفنيين قلة لا تكفى ، فاستعين بالجامعيين من دارسى الفلسفة غالبا، والكثرة كلها ممن لا يحملون مؤهلات دراسية ، ولا سبق لهم التدريس ، مما اضطر وزارة المعارف — إزاء نقص عدد المدرسين وكثرة عدد الفصول — إلى تعيين كتبة فى المحاكم المختلطة ، وصيادلة ، وعمال شيكوريل وهانو وعمر أفندى ، وكثيرا ماحدث صدام بين طالب ومدرس لمجرد الشعور بالفارق فى الشخصية والطريقة

ولست أخشى هذه الخطورة على اللغة الفرنسية بقدر خشيتى على الكرامة الفكرية للتلميذ وهو وديعة لدى الدولة — فلماذا نفرض تدريس لغة ليس عندنا من يحسن أداءها ولا من يكفى لأدائها ؟ ولماذا نصر على تدريسها وزارة المعارف وفى مدارس الأقاليم فصل بحصتين اثنتين فلا نجد مدرسا فيحال تدريسها على أحد مدرسى اللغة الإنجليزية بالمدرسة أو ينتدب لها مدرس من أقصى المدينة ؟

وقامت الوزارة باستفتاء أولياء أمور التلاميذ فى اختيار الإنجليزية أو الفرنسية فى بدء الثالثة الابتدائية . ولكن الوزارة لم تستجب للرغبات . وتعثرت بين سياستين متضاربتين بين الإلغاء والإبقاء ، فألغيت اللغة الفرنسية من الأولى الثانوية ثم من الثانية ثم أعيدت ثم ألغيت ثم تقررت على الثانية الثانوية والزراعية وخصص لها حصتان بعد أربع ، وزيدت فى الثالثة إلى خمس ، وألغيت نهائيا بعد الثانية زراعة

وقد أبيح فى سنة ما دخول امتحان الدور الثانى ثم عدل عنه واعتبر الراسب فى الفرنسية ناجحا ، ولم يعمل بذلك فى الامتحانات الرسمية عند النزول بالمنهج إلى المستوى الأدنى ، فكانت الضحايا بالمئات حيث أعيدت الدراسة بسبب الرسوب فى الفرنسية فقط فاضطر الطالب إلى اجترار كل المواد التى نجح فيها وإذا بالمنهج الفرنسى الجديد كان قد نجح فيه منذ عامين

وأدهى من ذلك أن بعض الفصول بمدارس البنات تشتمل على فريقين فى دراسة اللغة الفرنسية : أحدهما يدرسها أساسيا

والآخر إضافياً . وقد يكون عدد طالبات الأساسية تلميذة واحدة تستنفد من وقت المدرسة سبع ساعات في الأسبوع لها وحدها ، وقد تنتدب لهذه التلميذة معلمة فرنسية بماهية مضاعفة في حين نشكو من قلة المدرسين والمدرسات للكثرة المتزايدة من التلاميذ والتلميذات

ونحن إذن نبني البيت (بالباع والذراع) ، وندعي أن البيت قائم في حين أن البناء الذي سيقيمه لم يوجد بعد ، ولم تحضر المواد اللازمة له يوم يوجد ، والسكان الذين سيشغلون البيت ، لم نرسم لهم خط المستقبل حتى نضمن رغبتهم في سكنى البيت أو التحول إلى غيره

وليس يخفى على أحد هذا الفارق الشاسع بين الدراسة الثانوية والدراسة الجامعية عند الشعور بالضعف الشديد في اللغة الفرنسية وهي من ألزم ما يلزم الطالب في الآداب والحقوق والتجارة مع الاستغناء عنها تماما في العلوم والطب والزراعة

واللغة الفرنسية — حقا وصدقا — مكانتها الرفيعة في الثقافة العامة ، دليل ذلك أثرها الواضح في نفوس المثقفين ، ولكن هذا التشتت الذي نضحي الناشئ بسببه وهو حائر بين الإنجليزية والفرنسية أدى إلى نتيجة لازمة حاتمة وهي ضياع الوقت سدى في دراستهما معا ، وعدم جدوى هذه الدراسة عليه في مستقبل ثقافته وتكوين شخصيته . وما ذلك إلا لأنه ليس للتعليم سياسة واضحة الأهداف ، مرسومة الوسائل ، مصطلح على وضعها ، وهذا ما سبق لنا القول فيه في مقال « سياسة التعليم » (٣)

أما وقد مضينا بخطوات سريعة نحو الوعي القومي ، أرى الاقتصار على لغة أوروبية واحدة يترك حق اختيارها للمدرسة وولي أمر التلميذ ، وسيترتب على ذلك أولا إتقان هذه اللغة والاستزادة من آدابها وفنونها وعلومها في أقرب وقت ممكن ، ولن يجدي ذلك إلا إذا سرحت الوزارة هذا الجيش العرمرم من غير الفنيين ، وإلا إذا رجعت إلى أصول التربية في التدريس والامتحانات ، وعندئذ فقط يكتمل شعور المواطن الناشئ بكرامته القومية والفكرية ، ويتحقق لديه أمل التزود من ثقافة الغرب . حتى إذا طلب المزيد ، فالوسائل الخاصة لا تعوزه ولا تعجزه .

محمد محمود زيتون

(٣) الرسالة : ٢٤ يونيو سنة ١٩٥٠

نصيب الســـــودان

فى ثقافتنا المدرسية

للأستاذ أحمد أبو بكر ابراهيم

لا أود أن أعتب فى هذه الكلمة على الماضى ؛ فقد انقضى بخيره وشره ، ولكنى أنبه إلى حاضر يختلف فى طبيعته واتجاهاته ، وأشير إلى مستقبل قريب يتطلب منا العمل الحاسم السريع . أما الحاضر الذى اختلف ، فمرد اختلافه إلى أننا قد نظرنا الآن إلى السودان نظرة جد وحزم ، أوضحت أمامنا المسالك ، بعد أن التوت علينا أزماناً . وأما المستقبل القريب ففيه الأمانة التى ارتهنت بها مصر لشباب الوادى جميعاً ، وهى تهدف من ورائها أن يرتبط الشعبان ، وأن يلتقيا معاً على الفهم الواضح الصحيح ، والمعرفة الوثيقة ؛ ليعيشا معاً فى ظل الإخاء والوئام . ولا أحسبنا واصلين إلى ما نبتغى ، إلا إذا سعينا إلى هذا المستقبل على علم صحيح بما فى الجنوب من معالم وأحداث ، وثقافة وعادات ؛ ولهذا فقد رأيت عند أوبتى من السودان فى ديسمبر الماضى ، أن أذكر وزارة المعارف بهذه الحقيقة؛ لتأخذ الأهبة، وتتحفز للعمل، فبعثت إليها بتقرير ، أوضحت فيه ما يجب أن تعمل حيال الاتجاه الجديد ، ولكنى عدت فخشيت أن تطوى الوزارة هذا التقرير فلا تفيد منه ، فيظل شباب الوادى فى حيرة لا تنتهى ، ونظل كذلك بعيدين عن واقع الحياة الحاضرة وبوادر الحياة المستقبلة ؛ فرأيت أن أنشر على صفحات الرسالة الغراء بعضاً من هذا التقرير ؛ لأنه — على ما أعتقد — ضرورة يجب الأخذ بها فى سرعة واهتمام :

أولا :

لا يزال الطلبة فى مدارسنا المصرية يجهلون الضرورى من أحوال السودان ؛ فهم لا يعرفون من تاريخه إلا القليل ، ولا يدركون عن طبيعته وتياراته السياسية وحياته الاجتماعية ، إلا صوراً ضئيلة باهتة لا تغنى ولا تفيد .

هـذا هو منهج الجغرافيا ، لا يلقى على بلاد السودان ضوءاً واضحاً ، يبصر التلاميذ بما فيها ، وإنما هو إيجاز مخل ، لا يكاد الزمن يمضى عليه ، حتى يذهب من الأذهان ، لضآلة أثره وقلة غنائه . وهذا هو التاريخ ، وهو مصدرهم لتفهم الشعب وإدراك نزعاته ، لا يتناول من أحداث السودان إلا القليل مما يأتى عرضاً ، على حين يعنى المنهج بدراسة الحوادث فى بعض الممالك الأجنبية دراسة تفصيلية . وهذه هى النصوص الأدبية لا تلم فى أية مرحلة من مراحلها بأبيات لشاعر سودانى ، وفى هذا ما فيه من غمط لحقوق شعراء طالما رددوا صوتهم عالياً بحب مصر والمصريين .

لقد حان إذاً أن تحقق المعارف رغبة كريمة ، طالما جاشت فى صدور الكثير من المصريين والسودانيين ، فتولى الدراسات السودانية بالمدارس المصرية العناية اللائقة بها ؛ حتى يعرف الطالب المصرى عن جنوب الوادى ما يدركه عن شماله ، وعندئذ فقط تتأكد الروابط ، وتشتد الصلات ، ونبلغ الغاية التى نصبو إليها من التئام الشعب ، وتوثيق العرى .

من الخير أن ننظر الآن فى مناهج الجغرافيا والتاريخ والتربية الوطنية نظرة جديدة ، قوامها العناية بما فى الجنوب من تراث وثقافة ونظم وشؤون . ومن الخير كذلك أن تنتظم النصوص الأدبية طرفاً من شعر التيجانى يوسف بشير ، والعباسى ، وأحمد صالح ، وعبد الله عبد الرحمن وغيرهم ؛ فقد جاهد الكثير منهم بإنتاجهم القيم فى سبيل الإنسانية والعروبة والوطنية ، وأصبح من حقهم علينا أن نعنى بأشعارهم اعترافاً منا بهذا الجميل .

ثانياً :

مما لا شك فيه أن الصحف مرآة تنعكس عليها صور الحياة الحاضرة ؛ فهى التى تحمل للقراء الآراء والاتجاهات ، وتوضح ما يجرى فى البلاد من أحداث . ومن المؤسف حقا أن القراء فى الشمال قد تجاهلوا الصحف التى تصدر فى الجنوب ، فخفى عليهم بعض أحواله الراهنة ، وكان من الطبيعى أن يجهل الشبان المتعلمون بعض أخبار الجنوب وأحداثه . أقول ذلك وأنا أعلم أن صحف السودان لم تكتمل بعد نهضتها ، ولا تزال تجاهد فى سبيل الرقى المنشود ، ولكنها على أى حال تلقى الكثير من الأضواء على

الحياة السودانية الحاضرة . ومن الواجب — إذا أردنا أن نبصر التلاميذ بما يجرى فى الجنوب — أن تشترك كل مدرسة ثانوية فى صحيفتين على الأقل من صحف السودان ؛ إحداهما مستقلة ، والأخرى من الجرائد الاتحادية ؛ ليطلع عليهما الطلبة ، أو تقوم الجماعة الأدبية فى المدرسة بتلخيص الأخبار المهمة فيهما ، وتسجيلها فى مجلة حائط ؛ لتكون تراماتها فى متناول الجميع .

ثالثاً :

لا يجهل السودانيون أن طائفة من علماء مصر وأدبائها ، قد عنوا بشؤون السودان؛ فألفوا فى بعض نواحيه كتباً قيمة ، ولا يجهلون كذلك أن بعض السودانيين قد طرقوا هذا الباب ؛ فأصدروا بعض الكتب فى السياسة ، واللغة السودانية العامية ، والتاريخ والأدب . ومن الواجب فى وقتنا الحاضر أن تتولى إحدى اللجان دراسة هذه الكتب جميعاً ؛ لتزود بالصالح منها مكتبات المدارس ، وستجد — ولا شك — من كتب إخواننا السودانيين طائفة تصلح للاطلاع الحر فى المدارس الثانوية ؛ ستجد كفاح جيل ، وديوان إشراقة، وديوان العباسى، والعربية فى السودان ، وتاريخ مكى شبيكة ، وشعراء السودان ، والطريق إلى البرلمان ، وغيرها من الكتب

رابعاً :

لست أريد الانتهاء من هذه الكلمة الموجزة قبل الإشارة إلى ناحية مهمة تتصل بالروابط الثقافية بين الشمال والجنوب ؛ فقد درجت المعارف فى العهد الأخير على إيفاد طائفة صالحة من العلماء والأدباء يلقون المحاضرات فى جنوب الوادى ، وهى سنة محمودة ، وخطة حكيمة تستحق التقدير ؛ فقد شهد الناس هناك ألواناً ممتازة من معالجة الموضوعات على اختلاف أنواعها فقابلوها بالشكران والتقدير ، وتأكدت بينهم وبين إخوانهم المحاضرين الصلات الثقافية والروحية

حدث هذا فعلا فى الخرطوم وأم درمان ، فأفاد منه أهل هاتين المدينتين ، ولكن سكان المدن الأخرى لم يسمعوا إلا تلخيصاً لعدد ضئيل من المحاضرات فى الإذاعة ، فكان لسماعهم لهذا التلخيص جانبان : جانب أسف ؛ لأنهم لم يجدوا من العناية ما وجده سكان المدينتين الكبيرتين ، ففاتهم الكثير من الفوائد . وجانب استبشار ؛ لأنهم أدركوا فى هذا التلخيص من الفوائد ما لم يدركوه من قبل ، وودوا جميعاً لو طوف هؤلاء المحاضرون فى المدن الكبيرة الأخرى كدنقلا وكسلا والأبيض وعطبرة ، يحملون إلى الناس هذه الثقافة العالية الممتازة . ودوا ذلك ويودون مستقبلا أن تتحقق رغبتهم ؛ لتتم الفائدة ويصيب منها القريب والبعيد

وبعد ؛ فهذا رأيى أدلى به ، موقناً أن الحاجة ماسة إليه فى وقت آمنا فيه وآمن الناس أن الشعب الذى يعيش على ضفاف النيل من منبعه إلى مصبه شعب واحد يجب أن يلتقى تحت تاجه، ويتحد فى سياسته وثقافته ، وأرجو أن تبذل المعارف جهدها لتسهم — كما أسهمت من قبل — فى تحقيق ما تبقى لها نحو غايتها الكريمة

أحمد أبو بكر إبراهيم

الحسن البصرى

رئيس المدرسة الفلسفية الأولى فى الإسلام

الأستاذ حسين على الداقوقى

لم تمض على تأسيس مدينة البصرة حقبة طويلة من الزمن حتى تسنى لها مناهضة مدينة الأبلة (١) القديمة والتغلب عليها من جميع النواحى المدنية حين نسى الكتاب ذكر ما فى تلك المدينة من أحوال الحضارة ومعالم العمران . كما حدث على نفس الشاكلة تغلب الكوفة على الحاضرة طيسفون والسيطرة عليها

فغدت البصرة ثغر العراق المزدهر ، وميناءه المتطور الزاخر بصناعاتها وزراعتها ونشاط تجارتها . وبضروب فعالياتها الفكرية . فقد أنجبت المشاهير من رجال الفكر الإسلامى ، وقامت فيها المدارس العلمية والأدبية التى ضمت إليها هؤلاء المشاهير . نشأت فيها مدرسة النحو بوجهها الخليل بن أحمد ، وظهرت فيها ألوان من الأدب تمثلت فى كتابات ابن المقفع والجاحظ . وفى بيئة البصرة تثقف ابن الهيثم ، وبشر واصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد ، والنظام بمذهب الاعتزال . وألف إخوان الصفا جميتهم الفلسفية . وفى هذه البيئة أيضا وضع أسس الصوفية كبار أعلامها مثل رابعة العدوية والحسن البصرى وغيرهما ممن نبغوا فى مختلف مجالات الفكر . ليست لدينا — ويا للأسف — وثائق تاريخية وصفية جمعها أنصار الحسن البصرى وطلابه لنتبين منها تفاصيل سيرة الرجل ، سوى نتف من ملاحظات ، أو شتيت من المذكرات دونها عنه أعوانه أمثال قتادة وابن عون ويونس وأيوب ، ومتفرقات من المعلومات تلقاها فى كتب المحدثين مثل ابن سعد ، وفى مصنفات المؤرخين والمفسرين كابن قتيبة والطبرى ، وفى كتابات المتكلمين كأبى عمرو الجاحظ (٢) وفى كتب المترجمين كأبى نعيم وغيرهما من المصنفات

نشأته

ولد أبو سعيد الحسن بن يسار البصرى بالمدينة عام ٢١ه (٣) وكان أبوه يسار فى الأصل من سكان مدينة ميسان (٤) قرب البصرة . وقد سبى خلال عام ١٢ ه إبان حملة خالد على العراق (٥) فنقل مع من نقل من ميسان إلى المدينة حاضرة العالم الإسلامى فى ذلك الوقت ، وغدا هناك مولى لزيد بن ثابت الصحابى (٦) وكانت أمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبى(ص)(٧) نشأ الحسن بوادى القرى(٨) وشب فى كنف على بن أبى طالب (٩) ، وعمر (١٠) (؟) وتتلمذ على أنس بن مالك ، والتقى سبعين من البدريين (١١) ، كما أخذ عن حذيفة بن اليمان (١٢) وعمران بن حصين الخزاعى (١٣) وعاصر عددا كبيرا من الصحابة فأرسل الحديث عن بعضهم وسمع من بعضهم (١٤) ، وكان قد أظهر ذكاء لامعا منذ صغره ، فقد حفظ القرآن وهو دون سن الأربع عشرة سنة ثم كبر ولازم الجهاد ولازم العلم والعمل (١٥)

---

(١) احتلها عتبة بن غزوان . وكان موقعها على رأس الخليج الفارسى. ولوصحت رواية البستانى صاحب دائرة المعارف بأن عتبة بن غزوان بنى البصرة على بعد أربعة فراسخ من مدينة الأبلة ، ولو أخذنا المسافة التى قطعها الخليج الفارسى بالانسحاب نحو الوراء من زمن بناء البصرة حتى الوقت الحاضر لاستطعنا الحكم على أن موقع الأبلة كان فى منطقة (الحورة) الحالية

راجع عنها مراصد الاطلاع لابن عبد الحق طبعة إيران ، والطبرى ٤ ج ص ١٥٠ – ١٥١ ؛ وابن العبرى فى تاريخ مختصر الدول ص ١٧٤ وابن حوقل فى كتاب صورة الأرض ص ٢٣٧

h Ziya Ulken Islam Dusuncesi p 110

(٣) ابن سعد ٧ ج ص ١١٤

(٤) اسم كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط ، نسبتها ميسانى (راجع معجم ياقوت وكتاب الجبال والأمكنة والمياه للزمخشرى . الطبعة الحيدرية فى النجف ١٣٥٧ ه) وراجع Le strange the lands of the Eastern Caliphate p. 43 وهناك صعوبة كبيرة فى تثبيت موقع كل من (ميسان) (ومنار) لما فى المراجع التى بين أيدينا من الاضطراب ، ولكن يرجح أن موقع مدينة ميسان هو قرية (العزير) الحالية

(٥) انسكلوبديا الدين والأخلاق مادة الحسن البصرى

(٦) انسكلوبيديا الاسلامية ، مادة الحسن البصرى

(٧) ابن حجر العسقلانى : تهذيب التهذيب ٢ ج : طبعة الهند ١٣٢٥ ه

(٨) ابن سعد ص ١١٤

(٩) الزركلى : الأعلام مادة الحسن البصرى

(١٠) ابن الجوزى : صفة الصفوة ٣ ج ص ١٥٣

(١١) ابن النديم : الفهرست ص ١٨٣ طبعة Flugel

(١٢) المكى : قوت القلوب ٢ ج ص ٨٨

(١٣) جواشونة فلسفة ابن سينا ص ٩ ترجمة رمضان لاوند (دار العلم للملايين)

(١٤) ابن الجوزى: المرجع السابق ص ١٥٩

(١٥) الذهبى : تذكرة الحفاظ ١ ج ص ٦٧ الطبعة الثانية

استقر الحسن فى الأبلة (١٦) ، فالبصرة حيث كان المركز الثقافى الإسلامى خلال العهد الأموى (١٧) . وفى عام ٣٥ هـ شد الرحال إلى المدينة ، وعندما عاد إلى البصرة فى غضون سنى ٣٧ — ٤١ هـ تعقب المناقشات التى احتدمت بين أصحاب الرسول واحتكم فيها . واشترك فى الجهاد كحارب فى جبهة كابل ، وبعد ما رجع من الجهاد عارض خلافة يزيد ، واجتلب نحوه الأنظار (١٨) بما أوتى من حدة الذكاء وحسن البيان ، ومهابة وجمال فى خلقه وخلقه ، فوقم من أنفسهم أسنى مقام وأجل موقع

اشتغل الحسن موظفا عند الأمويين؛ فكتب للربيع بن زياد والى خرسان فى عهد معاوية (١٩) . وتقلد منصب القضاء فى البصرة مدة من الزمن إبان خلافة عمر الثانى ، ثم استقال منها (٢٠) ولم يأخذ على قضائه أجرا (٢١) . واعتكف فى أحد مساجد البصرة يقوم بالوعظ والإرشاد والتدريس والتوجيه ، ويشارك غيره فى كثير من الفعاليات الأخرى كما سوف نرى

ضحايا السياسة :

يبدو للانسان أن القدرية كانت أول مدرسة فلسفية فى الإسلام ، وأنها كانت قد اقترنت (أكثر مما انطبعت) بفلسفة سياسية فى ذلك العصر . بحيث أنها بدأت تعدو عن كونها فلسفة مجردة ، مطلقة ، غاية لنفسها ، وأخذت تهدف إلى ارتياد العقل ، وتحرر الفكر وإعطائه قيمته الحقة ، وبالتالى مقاومة السلطة الحكومية آنذاك . فحمل ذلك الأمويين على التنكيل بأنصارها والفتك بروحها ؛ فذهب عدد غير يسير من نوابغ ذلك العصر ضحايا هذا الاضطهاد السياسى . أذكر منهم عمر المقصوص أستاذ الخليفة معاوية الثانى حين وثب عليه بنو أمية وقالوا : أنت أفسدته وعلمته ، فطمروه ودفنوه حيا (٢٢) »

(٦) ابن سعد : نفس المصدر

Nicholson A literary history of the Arabs p 222

h Ziya op Cit pp — —

(١٩) تهذيب التهذيب لابن حجر ص ٢٦٣

h,Ziya Mid

(٢١) راجع ابن سعد فى الطبقات ٧ ج وحلية الأولياء لأبى نعيم

(٢٢) ابن العبرى : نفس المصدر ص ١٩١ وكتاب المعتزلة لزهدى حسن جاد الله القاهرة ١٩٤٧ ص ٣٤ ... ٣٥

كذلك انصبت نقمة الاضطهاد على نابغة آخر من معاشرى الحسن البصرى وهو معبد الجهنى ؛ على أنه جاهر بالقدر فى مدينة البصرة ، فأذاقه الحجاج الوالى الأموى مر العذاب ثم قتله بطلب من عبد الملك بن مروان (٢٣) . وكان معبد من السابقين فى القول بالقدر ، يذكر عنه الذهبى بأنه كان قدريا وتابعيا صدوقا (٢٤) قتله الحجاج عندما اشترك فى ثورة عبد الرحمن بن الأشعث . وقد كان كذلك غيلان الدمشقى قدريا وخطيبا مصقعا فأمر هشام بن عبد الملك بقطع يديه ورجليه (٢٥) ومثل به وصلب على باب دمشق (٢٦)

وهناك نصوص تاريخية كثيرة تثبت قدرية الحسن . . فيقول المقريزى : إن معبد الجهنى وعطاء بن يسار سألا الحسن البصرى « إن هؤلاء — يريدان الأمويين — يسفكون الدماء ويقولون إنما تجرى أعمالنا على قدر الله » فقال الحسن « كذب أعداء الله » فاتهم الحسن بهذا ومثله (٢٧) لم يكن الحسن يحمل العقيدة مجردة عن العمل ، ولم يأل جهدا فى الدفاع عن مبدئه والإفصاح عن آرائه بشجاعة، وقد أمضى حياته يصارع مشاكل شتى دون أن يكترث لها مع أنه كان بمقدوره، أن ينال العز والجاه والرغد والرفاه . فالمتصفح لكتاب أبى نعيم (حلية الأولياء ٢ج) يجد أنه قد ترفع عن هبات الأمويين ، وأبدى شجاعة منقطعة النظير فى رد المظالم ، تارة بتبيان وخامة العاقبة وطورا بالتهديد بالروادع الدينية ، ولم يستهدف من ذلك غير الإصلاح الاجتماعى العام ، فرفعه ذلك إلى موضع التقدير والإجلال لدى أغلبية الجماهير

ذكر الشهرستانى (٢٨) وكثير غيره بأن الحسن اتهم بالقول فى القدر، والحقيقة أنه كان كذلك ، بل إنه كان رئيس القدرية (٢٩) ، ورأس حرية الارادة ، والأكثر من ذلك أنه

(٢٣) المقريزى : الخطط ٤ج ص ١٨

(٢٤) الذهبى : ميزان الاعتدال فى نقد الرجال ٣ ج ص ١٨٣

(٢٥) ابن نباتة : سرح العيون ص ١٥٧ ... ١٥٨

(٢٦) ابن قتيبة : المعارف ص ١٦٦

(٢٧) المقريزى : الخطط ٤ ج ص ١٨١ ... ١٨٢

(٢٨) الشهرستانى : الملل والنحل ص ٣٢ طبع لندن

(٢٩) القمى : الكنى والالقاب ٢ ج ص ٧٥ مطبعة العرفان صيدا ١٣٥٨ هـ

جهر بمخالفته استخلاف يزيد بن معاوية (٣٠) من دون أن يتخوف عاقبة الأمر ، على حين أن الشعبي وابن سيرين لم يجرءوا على إبداء رأيهما بصراحة (٣١) . وكان من أهم أسس عقيدته السياسية اتباع الأصول الإسلامية الأولى ، ومعارضته الخلافة الأموية الوراثية ، والاعتقاد بمبدأ الانتخاب للخلافة (٣٢) ، بيد أنه لأسباب لم نتحقق منها تماماً ، رفض الاشتراك بثورة ابن الأشعث عام ٨١ — ٨٢ هـ ، بالرغم من المظالم التي كان يقترفها الحجاج ، وبالرغم من اشتراك زملائه بها كعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير ، ولعل ذلك كان بسبب اعتقاده الجازم بعدم نجاح الثورة ، أو أنه ما كان يسوغ الحرب وسفك الدماء بين الإسلام مهما كانت أسبابها الموجبة ، وذلك للصلة الوثيقة بين تصوفه وآرائه السياسية ، إذ لم تكن أية حركة من حركاته أو فعالية من فعالياته من قبيل الصدفة والعرض . ومع العلم أنه كان ضد سياسة الحجاج إلا أنه لم يقم بأية حركة ثورية أو عصيان مسلح ضده ؛ لأن الإسلام عند الحسن واحد ووحدة ، وأن هذه الوحدة تستند إلى وحدة الحق والإيمان ، وأن كل حركة ينجم عنها التصدع في هذه الوحدة ، وإن كان مبعثها الحق فهي ليست بأسلوب صحيح يركن إليه ويتوسل به

والمعروف عن الحسن البصري أنه غدا بين ٨٦ — ٩٥ هـ موضع ريبة موظفي الحجاج الذين صاروا يتحرون دقائق أعماله ويترقبون تصرفاته ؛ حتى اضطر إلى الاختفاء والتواري عن الأنظار . وفي عام ٩٩ هـ تقلد منصب القضاء في عهد عمر الثاني ثم استقال منه . وفي ١٠١ هـ انتقد بلهجة لاذعة في إحدى مواعظه الشهيرة حركة ابن المهلب التي قامت ضد الأمويين (٣٣) غير أنه لم يسلم في سلوكه هذا من التهجم عليه خلال حياته ، فذكر عنه أنه كان يلقى الناس عابسا ويتصنع الرياسة . وروى عن تلميذه ابن أبي المرجاء أنه لما قيل له لم تركت صاحبك ودخلت فيما لا أصل له ولا حقيقة ؟ قال إن صاحبي كان مخلطا ، كان يقول طوراً بالقدر وطورا بالجبر ، وما أعلمه اعتقد مذهباً دام عليه (٣٤) ويقول عنه تلميذه أيوب السختياني أن انفصال الحسن من القدرية كان خوفاً من السلطة الحاكمة ، وأن عدم اشتراكه مع ابن الأشعث في الثورة كان خوفا من أن تذهب عنه وظيفته الموجهة إليه . كذلك انتقده ابن سيرين لأنه يرد الكبيرة ولا يرى الخلود في النار أبدا (٣٥)

هذا ولم يكن الحسن في عقيدته السياسية مكافحا من نوع صاحب الزنج في الثورة على النظام الاجتماعي ، ولا مثل جان دارك في الدفاع عن استقلال الوطن ، إنما كان أقرب مثيل إلى البابا بيوس التاسع في بعض جوانب تصرفاته ، وبأبي العلاء المعري في جوانب أخرى . وكان في عصره من هذه الناحية نسيج وحده . . ويرجح أن كفاحه كان محددا بحدود صوفية معينة ، وباعتبارات دينية واجتماعية أخرى تمسك بأهدابها ، وجهد في السير على مقتضاها . وقد أوصى ابنه عبد الله أن يحرق كتبه ففعل ما أوصاه به والده (٣٦) ، لذلك لم يرد لنا منه إلا النزر اليسير الذي ذكرناه فأشكل على الباحث تحقيق أمره ، ولم يوف في التدقيق منه حقه ، فنستميح القارئ الكريم عما يبدو من المقال من سطحية وضآلة مادة ، فعسى أن نكون به حافزين . وداعين إلى دراسة طرف من أطراف التراث الإسلامي أو شخصية من شخصياته ، لم تتكشف حقائقه مفصلة سافرة على ضوء المباحث القائمة على المنهج التاريخي العلمي الحديث

لبعت صلة حسين على الداقوقي

(٣٠) دائرة المعارف الإسلامية مادة الحسن البصري وفجر الإسلام للأستاذ أحمد أمين ص ٢٢٨

(٣١) أحمد أمين : نفس المصدر ونفس الصفحة

(٣٢) انسكلوبيديا البريطانية مادة الحسن البصري

b ZIYa Ulken op cit

(٣٤) القمي : الكنى والالقاب ٢ ح ص ٧٥

h. ZiYa Ulken op cit

(٣٦) ابن سعد في الطبقات

بين شاكر وقطب :

لا تسبوا أصحابي

للأستاذ محمد رجب البيومي

للأستاذ محمود محمد شاكر منزلة كبيرة لدى ، فأنا أعهده كاتبا قوى الأسلوب ، رصين العبارة ، وأعرفه أبيا مخلصا يتدفق غيرة على الإسلام ، وتعصبا لأفذاذه الأبطال ، لذلك أقبل على قراءة ما يدبجه يراعه المؤمن فى شوق واهتمام . وقد طالعت أخيرا ما كتبه بمجلة (المسلمون — العدد الثالث ص ٣٨ جمادى الأولى سنة ١٣٧١) تحت عنوان لا تسبوا أصحابى ، فوجدت المجال واسعا للخلاف بينى وبينه ، ولم أشأ أن أطوى ما دار بخلدى عن القراء ، فرأيت أن أناقش الكاتب الكبير فيما سطره راجيا أن يحق الله الحق بكلمته ، فالحق وحده هدف الكرام الكاتبين ، وفى طليعتهم الأستاذ الجليل

ولعل من الأوفق أن أبدأ بتلخيص الفكرة التى يدور حولها مقال الأستاذ شاكر ، فأعلن أن الكاتب الفاضل ينحى باللائمة على المجاهد الداعية الأستاذ سيد قطب — وإن لم يصرح باسمه — إذ تعرض فى كتابه « العدالة الاجتماعية فى الإسلام » إلى أناس عدهم الأستاذ شاكر من أفاضل الصحابة ، وقد خصهم صاحب الكتاب بما لا يليق فى مذهب الأستاذ شاكر من النقد والتجريح ، وهو بذلك يخالف ما اجتمع عليه الرأى السائد من تقديس أصحاب الرسول « إذ لا سبيل لأحد من أهل الأرض ماضيهم وحاضرهم أن يلحق أقل أصحاب محمد ، مهما جهد فى عبادته ومهما تورع فى دينه ، ومهما أخلص قلبه من خواطر السوء فى سره وعلانيته ، كما قال الأستاذ الجليل

وقد بدأ الأستاذ شاكر مقاله بحديث الرسول « لا تسبوا أصحابى ، فو الذى نفسى بيده ، لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ، ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه » واندفع فى سياق منبرى يسرد الأدلة الخطابية ، ويستثير النوازع العاطفية ، ويستشهد بقول الرسول « خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجىء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته » كما ذكر حديثا يدور حول هذا المعنى ، محاولا أن يؤيد بذلك كله دعواه الخطيرة إلى تقديس أناس بعدوا عن الحق فيما سجله عليهم التاريخ من أعمال . ومما نحمد الله عليه أن الحق — فى هذه الناحية — واضح أبلج لا يحتاج إلى برهان

وقبل أن نعرض ما ذكره الأستاذ قطب فى شأن معاوية وأصحابه ، نذكر أن الأستاذ شاكر قد أثار هذه العاصفة بحجته الوحيدة ، أن كل صحابى رأى الرسول وسمع منه قد اكتسب مكانة تحرم على كل إنسان أن ينقد أخطاءه أو يظهر أغلاطه ، « فإذا أخطأ أحدهم فليس يحل لهم ولا لأحد ممن بعدهم أن يجعل الخطأ ذريعة إلى الطعن عليهم » — كما ذكر الكاتب

وحسما للنزاع من أقرب طرقه ، نبدأ بتحديد معنى الصحابى ، وهو — فى أبسط حدوده — يطلق على كل إنسان حصلت له رؤية الرسول أو مجالسته ، فجميع من سعدوا بمشاهدته صلى الله عليه وسلم فى حياته بعد الإسلام صحابة يشرفون بهذه الصفة المباركة ، حتى عبد الله بن أبى رأس النفاق بالمدينة ، فقد قال الرسول لمن هم بقتله : « معاذ الله أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه » ، فعبد الله من أصحاب محمد كما ينطق الحديث ، فليت شعرى أينطبق الحديث القائل لا تسبوا أصحابى على جميع من سعد بالصحبة ، أم يخص من باعوا أرواحهم وأموالهم لله من المؤمنين الصادقين ؟ لا بد أن تكون الطائفة الأخيرة هى المقصودة دون أدنى تردد أو نزاع ، فكل من تمسك بأخلاق الإسلام من أصحاب الرسول وشهد تاريخه بمروءته وصدقه فهو موضع التجلة والتبجيل ، ولا يجوز لمسلم يدين بالإسلام أن ينتقصه فى شىء ، وكل من حامت الشبهات فوق تاريخه فهو موضع اللائمة والنقد لأن الناس سواسية أمام الإسلام ، ولا فضل لعربى على أعجمى بغير تقواه ، والإسلام لا يقدس غير البررة المخلصين

ومعلوم أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يكونوا من الدين والجهاد بمنزلة واحدة ، ففيهم من أسلم فى فجر الدعوة منذ أعلنها الرسول وقطع السنوات المتتابعة فى الجهاد والجلاد ، وفيهم من أسلم قبيل الفتح أو بعده والسيف مصلت على رأسه ، وفيهم من بذل الكثير من الدم والمال وادخر القليل ، وفيهم من تقاعس ولم يبذل شيئاً من دمه وماله ، ومن الظلم البين أن نرتفع بهؤلاء

جميعاً إلى منزلة واحدة ، بل على التاريخ أن يبوىء لكل إنسان منزلته وفق ما أسلف من أعمال « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ، وكلا وعد الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما » ٩٥ النساء

وإذا كان الأستاذ شاكر يرى أنه لا يجوز لأحد من الناس أو من الصحابة أن يجعل الخطأ ذريعة إلى الطعن فى الخطئين ، فماذا يفعل فى الصحابة إذ أحلوا لأنفسهم ما حرمه عليهم الآن ، فخطأ بعضهم بعضاً ، وطعن فريق منهم على فريق آخر يناوئه ، أفيكونون بذلك قد خالفوا الحديث النبوى كما فهمه الأستاذ شاكر .. أم عرفوا أن الصحبة وحدها لا تعصم من النقد والملام ؟

لقد اتضح بجلاء أن الحديث الذى عنون به الأستاذ مقاله لا يندرج على جميع من سعد بالصحبة ، بل يختص بالطائفة الفاضلة التى لم تترك أخلاق القرآن فى موقف ، أو تنبذ روح النبوة فى صنيع ، وجميع من سار على النهج القويم كأبى بكر وعمر وعثمان وعلى وابن مسعود موضع القدوة والاحتذاء من المسلمين ، وحرام على كل مؤمن أن يحوم على أحد منهم بطعن أو تجريح ، أما الذين تأخر بهم الركب عن اللحاق بالإسلام فى مشرق شمسه ، فيجب أن ننظر إلى صحف أعمالهم ومواقفهم فى الحياة ثم نحكم عليها فى ضوء القرآن والنبوة ، وهذا ما فعله الأستاذ سيد قطب ، فقد نظر إلى أعمال معاوية وطائفة من بنى أمية نظرة إسلامية صادقة ، فوجد خليفة المسلمين قد بعد عن روح الإسلام فى أكثر أعماله ، وساعده فى هذا السبيل فريق باع آخرته بدنياه ، فرأى أن يقول كلمة الحق فى أناس تجاوزوا حدود الله فى أعمالهم ، والأستاذ قطب لم يرد بكتابه أن يكون مؤرخاً راوياً ، فالرسالة التى يضطلع بها الآن أعظم من أن تنحصر فى حدود التاريخ ، ولكنه ينادى بالرجوع إلى أحكام القرآن ، وهدى النبوة ، وتعاليم الإسلام ، وقد عرف أن الخلافة الإسلامية قد فقدت معناها الدينى بعد مصرع على ، وجاء من الخلفاء من أحالها إلى ملك عضوض ، تبعد عنه روح الإسلام فى أكثر نواحيه ، وقد ظن كثير من الناس أن هؤلاء الخلفاء الرسميين من لدن معاوية يمثلون الخلافة الدينية التى تتقيد بالقرآن وتهتدى بالسماء ، ورأوا من جرائرهم الخلقية ، وترفهم الفيت ، ولهوهم الماجن ما يبغضهم فى الخلافة والإسلام ، فقام الأستاذ سيد قطب يدافع عن دينه ، ويبين أن الإسلام لا يعترف بخلافة بعد على ، وقد نطق بالحق المؤيد بالتاريخ حين أعلن أن معاوية أول خليفة تحلل من قيود الإسلام ، أفنقول له بعد ذلك لقد تهجمت على أصحاب الرسول وخالفت هدى النبوة ، أم يريد الأستاذ شاكر أن يفهم الناس أن معاوية وأشياعه يمثلون الإسلام بما ارتكبوه من رشوة وخداع وممالأة ؟ لو أن الأمر كذلك لبعد الناس عن الإسلام ، ولبرىء المسلمون من دين يبيح لخلفائه الخديعة والمكر والإرهاب وإقامة القصور واحتكار الأموال والضياع ؟

ولقد كان الأحرى بالأستاذ شاكر أن ينقد ما ذكره الأستاذ قطب عن معاوية نقداً تاريخيا فيبين أن الوقائع التى ذكرها فى كتابه الخالد غير صحيحة ، ولكنه لا يستطيع أن يفعل شيئا من ذلك ، إذ أن الأستاذ قطب قد نقل وقائعه عن كتب التاريخ ولم يخترعها من عنده اختراعاً ، وهى - رغم ثورة الأستاذ شاكر - معروفة لدى الكبير والصغير

فمن ذا الذى ينكر أن معاوية حين صير الخلافة ملكا عضوضاً فى بنى أمية لم يكن ذلك من وحى الإسلام ، إنما كان من وحى الجاهلية

ومن الذى ينكر أن أمية بصفة عامة لم يعمر الإيمان قلوبها ! وما كان الإسلام لها إلا رداء تلبسه وتخلعه حسب المصالح واللابسات ! ! وهذا باستثناء عمر بن عبد العزيز الذى أحاطه الأستاذ قطب فى كتابه بسياج من المحبة والإجلال ، وجعل عهده بقية من عهود الخلافة الراشدة ، وإشعاعة مضيئة تنير الطريق ، وقد بسط الكلام عن هذا الخليفة العظيم فى أربع صفحات طوال ! !

ومن الذى ينكر أن يزيد بن معاوية قد فرضه أبوه على المسلمين مدفوعا إلى ذلك بدافع لا يعرفه الإسلام ؟

ومن الذى ينكر أن معاوية قد أقصى العنصر الأخلاق فى صراعه مع على وفى سيرته فى الحكم بعد ذلك إقصاء كاملا ، لأول مرة فى تاريخ الإسلام ، وقد سار فى سياسة المال سيرة غير عادلة ، فجعله للرشوة واللهى وشراء الضمائر فى البيعة ليزيد

بجانب مطالب الدولة والفتوح بطبيعة الحال

هذه وأمثالها أمور مسلمة في التاريخ لا يستطيع الأستاذ شاكر أن ينكرها بحال . ونحن نعجب كثيرا حين نجده في مقاله يلبس مسوح الوعظ والإرشاد فيقول : يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم . يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا . ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا . أفهذه الآيات وأمثالها يستطيع الأستاذ شاكر أن يسكت لسان التاريخ

كنا ننتظر من الأستاذ أن ينقد هذه الحوادث التاريخية نقداً موضوعيا يحدد على ضوئه موقف معاوية من تعاليم الإسلام! ولكن الأستاذ لا يستطيع أن يأتي لمعاوية بتاريخ جديد فذهب يدافع عنه من باب آخر ، فنقل عدة روايات تدل على أنه حسن الصلاة ! ! وأنه أوتر بواحدة ! فقال ابن عباس إنه فقيه ! ! وأن الرسول قد قال : اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب !! وسارق هذا المضمار خطوات أثبته كثيرا . والعجيب أنه يجهل ما ذكره الأستاذ قطب عن تاريخ معاوية روايات متلقفة من أطراف الكتب ! وهي ما تنطق به جميع كتب التاريخ ، أما ما ذكره الآن من فضائل معاوية فليس من قبيل الروايات المصنوعة ، وإن اصطيد من مجمع الزوائد وأمثاله من مراجع الأستاذ ، أفهذا منطق يقدم الباحثين !

وقد تعجبت كثيرا وأنا أقرأ قول الأستاذ شاكر عن قطب « إن كان يعلم أنه أحسن نظرا ومعرفة بقريش من أبي بكر حين ولى يزيد بن أبي سفيان وهو من بني أمية ، وأنه أنفذ بصرا من عمر حين ولى معاوية فهو ما علم ! » كأن تولية عمر لمعاوية كافية لأن تمحو أخطاءه فلا يأخذه مؤرخ بعلام ! ونحن نقر أن معاوية كان حسن السيرة على عهد عمر فولاه أعمال دمشق ، ولكنه قلب المجن للتعاليم الإسلامية بعد مصرع عثمان فلم تنفعه تزكية الفاروق في شيء ، وعمر رضي الله عنه لا يعلم الغيب حتى تكون تزكيته لإنسان ما في عهده ممتدة إلى جميع أعماله مدى الحياة !

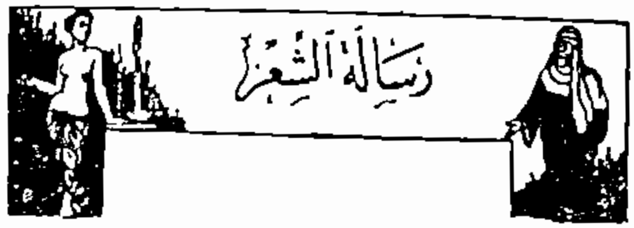
هذا هو معاوية ، أما أبو سفيان وهند زوجه وعمرو ابن العاص فلا أعلم أن الأستاذ قطب قد تجاوز الحق فيما كتب عنهم من تاريخ !! فجميع المسلمين يعرفون أن أبا سفيان حارب الإسلام حربا لا هوادة فيها ، ولم يدخل في حظيرته إلا بعد أن تقررت غلبة الإسلام ! وأن زوجه هند قد ولغت في الدم حين أخذت كبد حمزة بين فكيها ، ولا كتها لتأكلها فلم تستطع ، وأنها قالت من زوجها حين أسلم : اقتلوا الخبيث الدنس الذي لا خير فيه ، قبح من طليعة قوم ، هلا قاتلتم ودافعتم عن أموالكم؟ ثم أسلمت بعد ذلك أيضاً ! ! وأن ابن العاص قد عاون معاوية في خصامه مع علي جريا وراء مآرب يدخرها لنفسه دون نظر إلى صالح الإسلام والمسلمين !! هذا كله ما ذكرته كتب التاريخ ، أفيلام الأستاذ قطب إذا ذكره في معرض الدفاع عن الإسلام وتبرئته من آثام المذنبين ، أم يريد الأستاذ شاكر أن يؤخذ الإسلام بجرم أبنائه ومدعيه ، حين يحتضن أناساً لم يتمسكوا بأهدابه وقواعده ، ما يكون لنا أن نتكلم بهذا في ذلك الشأن

ولقد تعمدت أن أكون واضحاً صريحاً حين تكلمت عن المراد « بالصحابي » فتحدثت عما يفهم من مادة الكلمة دون نظر إلى ما دار حولها من اختلاف لدى الأصوليين ، إذ هم يذكرون عدة تعاريف تتقارب وتتباعد دون أن تلتقي في ناحية واحدة ، ولو تمسك كل إنسان بتعريف معين لتضارب القول ، واتسعت شقة الخلاف ! على أن الصحبة بمدلولها اللغوي تدل على الملازمة ، فصاحبك هو الذي يطيل المكث معك أكثر من سواه ، وصحابة الرسول بالمعنى الشرعي واللغوي معاً هم أكثر الناس ملازمة له ، وليس منهم معاوية وأبوه وأمه ونجله على أي حال ، ولن أطيل هنا القول فيما ذكره المحدثون في قول الرسول خير الناس قرني ثم الذين يلونهم — وقد سبق في صدر هذا المقال — إذ أن مفسري الحديث قد أجمعوا على أن العبرة بالمجموع لا بالجميع ، فقد يوجد في القرن العشرين من هم أفضل بكثير من بعض من عاصروا الرسول العظيم وإذن فليس للأستاذ شاكر أن يتمسك — بهذا وأمثاله — كدليل يستند إليه في دعواه ، وهو من البداهة بمكان لا يحتمل الترديد والإسهاب

إن من القسوة المعيبة أن يقول قائل عن الأستاذ سيد قطب إنه قد بعد في كتابه عن منهج الإسلام ، وهو الداعية البصير الذي تشرب روح الإسلام ، وفهم دقائق التشريع ، ورسم خطوطاً واضحة يترسمها الشباب المتوثب للنهوض والعزة في ظلال الدين الحنيف ، وكان بجهاده الميمون رائد جيل ، ومنقذ نفوس ، وداعية إصلاح

أعلمت أشرف أو أجل من الذي يبني ويبني أنفساً وعقولا

محمد رجب البيومي



اللحن الثائر

للشاعر السوداني محي الدين فارس

إلى أخي في الشمال .. !
إلى أخي في الجنوب .. !
إلى كل وطني حر آمن بالنور .. وكفر بالظلام .. !
إلى موكب الحرية الحمراء أزجي هذا اللحن الثائر .

يا شرق . يا محراب آمالي ، وأحلامي وفني . .
في ليلك الباكي نسجت ملاحمي وملأت دني ..
وسكبت خمري للظماء هناك في الليل الدجي
النازلين من الدموع قلائل القصر الأغن !

* * *

الكادحين هناك في الليل المحجب بالغيوم
الشاربين مرارة الأيام في السجن القديم
الفأس في يدهم نشيد هز أسماع النجوم
غرسوا النعيم .. وما جنوا منه سوى ثمر الجحيم !

* *

يا شرق يا مهد الحضارة والثقافة والفنون
يا حانة الأرواح تجري كوثر الخلد الرزين
عبرتك شتى الفلسفات وأنت مثواها الأمين
تسمو على مر الدهور فظل تاجك لا يهون

* * *

إن فاخروا بشريعة الغابات في جنح الليالي
وهناك في السودان . في الوادي المقدس في القنال
سنصب من دمهم ونحملهم على نعش الزوال
ونطهر الوادي من الأصنام، من عبث الضلال
سنظل نشدو محاريب الهوى لحن الإخاء
سنظل نعلي بالكفاح الحر ألوية السماء
سنظل نعصف كالرياح الهوج في ركب العداء
حتى يؤوب إلى دجى الأدغال في ذل الإماء

* *

يا أمس يا دنيا المواجع والشقاوة والألم
يا مسرح الزمن الخؤون المنتشي بدم الرمم !
وليت ملعون الخطى وغفوت في حضن السدم
وغدت تهيل عليك ليل الموت أجنحة العدم

* * *

الوعي يقظان وقافلة الحياة على الدروب
هتكت حجاب الليل بالنور المجنح في القلوب
فبدا لها الهدف البعيد يرف كالشط القريب
فهفت إليه .. كالفراش .. إلى ينابيع الطيوب

* * *

قد آن للفجر المجنح أن يضوىء للعصور
قد آن للفجر الموشح بالوضاءة والزهور
أن يملأ الوادي بألحان الخلود وبالحبور
بموا كب البشرى تهز مسامع الأبد الكبير

محي الدين فارس

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

عميد الأدباء في الهواء الطلق

قضى في الوزارة عامين قدم فيهما العلم إلى جيل بأكمله من الناشئين، ويسر مصاعب الحياة لجمع كبير من خيار المواطنين هم الأساتذة والمربون، ولقى هو في سبيل ذلك من المتاعب والعناء ما لا ثمن له عند مثله إلا انتعاش النفس لما ينال المجموع من خير

كان طه حسين قبل أن يلي الوزارة كاتبا يبدى الرأى ويدعو إلى العمل، ثم ولى الوزارة فأشفقنا عليه مما كتب، إذ خشينا أن يكون من العوامين على البر، وإذا هو في البحر يضرب أمواجه بذراعى جبار.. كان طه حسين الكاتب الناقد رقيبا على طه حسين الوزير العامل.. ويخيل إلى أن الوزير كان يخشى في نفسه الكاتب ويفرق منه أشد الفرق حين أوغل في القسوة على نفسه ومنع تقرير كتبه في المدارس وكان كثير منها مقررا من قبل

يكتب طه حسين ويحاضر فينفع الناس، ويتولى المناصب فينفع الناس، حتى حين يقصد إلى شيء من الترويح عن نفسه بالسفر إلى الخارج نراه وراء العالم سفير مصر الأدبي ونديد الأساطين في إشماخ الفكر فينفع الناس

قال لي مرة وقد أقبلت عليه لأتزود منه بحديث لقراء « الرسالة »: أتريد حديثا يطرف القراء أم تريد كلام جد؟ قلت له: أريد حديثا يطرف القراء! فابتسم، ثم تحدث إلى فلم يكن في حديثه غير الصدق وغير الإمتاع.. فحين قلت له ماقلت كنت أعلم أن كل ما يقوله طه حسين طريف لا يخرج عن الجد والصدق، وكل ما يجد فيه من القول لا يتجرد من الطرفة والإمتاع

إن من خصائص عميدنا الاندماج الكلى فيما يتعرض له، وقد اندمج هذين العامين في التيسير على المتعلمين والمعلمين، ولم يعبأ بقلة « الإكسوجين » في هواء الوزارة، ثم ترك الوزارة فأحس بهبوب الهواء الطلق على نفسه، وسندعه يشبع رئتيه من هذا الهواء، ندعه قليلا لنتوقع منه بعد ذلك الكثير...

الثقافة تنتقل إلى المتخلفين:

أنشئت الجامعة الشعبية كي تتيح الفرص لمن تخلفوا عن قطار التعليم في إحدى المحطات.. ومدت يدها إليهم تعينهم على السير واللحاق بالركب. ومضت بهم قليلا وهم فرحون بانتسابهم إلى الجامعة، ثم هب عليهم غبار من نوع معوقاتهم الأولى. إذ قيل: جامعة! وما الفرق إذن بين الجامعيين وبين الشعبيين؟ حتى الاسم استكثر ومعليهم.. فليكن اسمها « مؤسسة الثقافة الشعبية » كما أطلق عليها منذ سنوات

لا يهم الاسم ما دامت القافلة تسير، وقطعت القافلة أشواطا وأخيرا تلفتت.. قطعت أشواطا بمن جاءوا إليها، ولكن هل هؤلاء كل من فاتهم القطار؟ تلفتت تنظر فإذا محطات التخلف لاتزال عامرة، فما كل من فيها يستطيع أن يقصد إلى المراكز الثقافية، وقد يستطيع ولكنه يتكاسل

فكرت المؤسسة في أمر هذه الآلاف المتخلفة القاعدة، فرأت أن تنتقل هي إليهم في قراهم بالأقاليم وفي أحيائهم بالمدن. فوضعت مشروعا لذلك يعتمد على وسيلتين:

الأولى مكتبات متنقلة تحملها سيارات تعد إعدادا خاصا بحيث تصبح — بفتح بابها حيثما وقفت — «مكتبة مفتوحة» فيستعير منها من يشاء لقاء « تأمين » زهيد لا يبلغ نصف ثمن الكتاب، وقد تغرى المستعير قلة ما يدفعه ويروق في عينيه الكتاب.. وليكن، وتحتمل المؤسسة الفرق بين الثمن والتأمين في سبيل تأدية الرسالة الثقافية..

وتستمد المكتبات الطوافة من مكتبات مركزية تقام في قواعد تختار لها، وتؤدى هي أيضا رسالتها كمكتبة عامة في مكانها، وتحمل المكتبات الطوافة إلى كل جهة ما يناسبها من الكتب، وتصحبها آلات للعرض السينمائي الثقافي لتكون وسيلة إلى اجتذاب الجمهور، إلى جانب الغرض الأساسي من موضوعها

أما الوسيلة الثانية فهي كتب دورية (شهرية أو أسبوعية أو غير ذلك على قدر الإمكان) تعهد المؤسسة في تأليفها إلى مؤلفين من غير موظفيها تكلفهم بتأليفها في موضوعات حيوية على أن يقصد بهذه الموضوعات إما تنمية المعلومات الثقافية العامة، أو الإرشاد والتوجيه في ناحية من نواحي الحياة العملية، وتوزع هذه الكتب على من يطلبها بثمن أسمى يغري بطلبها

ذلك هو مشروع مؤسسة الثقافة الشعبية التي تريد أن تنقل به الثقافة إلى الناس في بيوتهم وفي مقار أعمالهم والذي يشتغل الآن بوضع خططه الأستاذ علي عزت الأنصاري بك المدير العام للمؤسسة

إلى رفعة علي ماهر باشا

وأريد أن أسوق الحديث بعد ذلك عن الموضوع السابق إلى حضرة صاحب المقام الرفيع علي ماهر باشا رئيس الوزراء:

قرأنا ما أدليتم به إلى الصحف في الماضي من أنكم توجهون اهتماماً كبيراً إلى مسألة التربية الشعبية، التي هي القاعدة الرئيسية للعمل المنتج والصالح لخير البلاد وأهله، والتي تبعث في كل شخص روح الكبرياء القومي ... إلى أن قلتم إنكم أصدرتم إلى محطة الإذاعة اللاسلكية المصرية تعليمات مشددة بأن تساهم بنصيب كبير في تربية الذوق السليم وإنماء الروح المعنوية القوية

كشكول الأسبوع

أوشكت لجنة الأدب بمجمع فؤاد الأول للغة العربية على الفراغ من فحص الإنتاج الأدبي المقدم لمسابقة سنة ١٩٥١-١٩٥٢ وهو سبعة دواوين واثنتا عشرة قصة وبحثان وكتابان محققان، وينتظر أن تعلن نتيجة هذه المسابقة قريباً.

○ في الوزارة الماهرية القائمة أربعة وزراء أولاد مشايخ، اثنان منهم ولدا شيخين سابقين للأزهر وهما محمد عبد الخالق حسونة باشا وزير المعارف وأحمد مرتضى المراغي بك وزير الداخلية، والآخران ولدا شيخين من كبار العلماء وهما سعد اللبان بك وزير الأوقاف وزكي بك عبد المتعال وزير المالية

○ قال الأستاذ «ماسينيون» في مؤتمر المجمع اللغوي «إن أعمال المجمع تدرس في معهد تخريج مدرسي اللغة العربية في فرنسا»، ومما يؤسف له أن هذه الأعمال لا تظفر بمثل هذا الاهتمام في أي معهد بمصر.. ولعل للمجمع يداً في هذا التقصير، لأنه لم يتم إلى الآن بطبع هذه الأعمال ونشرها لتكون في متناول الجميع. ولقد وصلت إلى فرنسا عن طريق الأستاذ ماسينيون الذي طلبها من المجمع فأمده بها

○ أصدرت لجنة نشر المؤلفات التيمورية كتاباً جديداً من آثار المغفور له أحمد تيمور باشا، عنوانه «الآثار النبوية» ويتناول فيه المؤلف العلامة — بالدرس والتحقيق — آثاراً اشتهرت نسبتها إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وتناولها الناس دون أن يميز أكثرهم صحيحها من زائفها، مثل القضيب والبردة والمنبر والسرير والخاتم والعمامة والسيف وغير ذلك

○ وافقت لجنة الشؤون التشريعية بمجلس النواب على مشروع القانون الخاص بحماية حق المؤلف

ليس هذا جديداً علينا منكم يا رفعة الباشا، فنحن نذكر جهودكم في إنماء الثقافة في مختلف العهود التي توليتم فيها الوزارة، نذكر من تلك الجهود ما قمتم به في سنة ٩٣٧ — على ما أذكر — من تنظيم المسابقات للنشيد القومي، وللكتابة في موضوعات أدبية فكرية كرسالة الجامعة والأزهر وغيرهما في القرن العشرين

فنحن إذن نعلم أنكم مؤمنون كل الإيمان بأثر الثقافة في التربية الشعبية، ولعلكم ترون الموضوع الذي عرضته قبل هذا، وخاصة ما تقترحه مؤسسة الثقافة الشعبية من إصدار كتب دورية يمكن اتخاذه وسيلة إلى التربية الشعبية التي توجهون إليها عنايتكم، فلا تكون المسألة قاصرة على الإذاعة، بل تتناول هذه المؤلفات التي تفكر المؤسسة في موضوعها، فتولونها عنايتكم وإرشادكم لكي تقوم بنصيبها في تحقيق هذا الغرض

الإعداد للمؤتمر الثقافي الثالث

كان المؤتمر الثقافي العربي الثاني الذي انعقد بالإسكندرية في صيف سنة ٩٥٠ — قد قرر أن تؤلف لجنة برئاسة معالي الدكتور طه حسين باشا — بصفته الشخصية — للإعداد للمؤتمر الثقافي العربي الثالث، وكان معاليه قد تحدث في ختام ذلك المؤتمر إلى الوفود العربية محيياً لهم معتذراً من تقصير مصر في إكرامهم، معرباً

من رغبته في أن يكون اجتماع المؤتمر الثالث بمصر أيضاً كي تستطيع أن تقوم بما ينبغي عليها نحو أبناء الشقيقات

ومنذ أسابيع أخذ معالي الدكتور طه حسين باشا في العمل وإعداد ماينبغي لتنظيم المؤتمر الثالث ، ثم استقالت الوزارة السالفة وجاءت الوزارة الحالية التي ولي فيها وزارة المعارف معالي الأستاذ محمد عبد الخالق حسونة باشا ، فكتب إلى معالي الدكتور طه حسين باشا ليمضي في الإعداد المؤتمر

واستأنف العميد العمل في هذا السبيل ، فدعا اللجنة التي ألفت للإعداد المؤتمر إلى الاجتماع ، فاجتمعت يوم السبت بدار مجمع فؤاد الأول للغة العربية برياسة معاليه ، وحضرها مندوبو مصر وباقي الدول العربية ، وهم الأستاذ محمد سعيد العريان والدكتور سليمان حزين بك (عن مصر) والدكتور بديع شريف (عن العراق) والدكتور مدحت جمعة بك (من المملكة الأردنية) والأستاذ مدحت فتفت (عن لبنان) والدكتور زكي المحاسني (من سوريا) والسيد علي الآنسي (من اليمن) ، ولم يحضر مندوب المملكة السعودية ، ومثل الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية الأستاذان سعيد فهيم وعلي عبده

ونظرت اللجنة في الزمان والمكان اللذين يجتمع فيهما المؤتمر ، وتناول البحث الوقت الصالح لمجيء الوفود إلى مصر من حيث ملاءمة الجو ، فتقرر أن ينعقد المؤتمر بدار الجمعية الجغرافية في القاهرة في الأسبوع الثالث من شهر ديسمبر سنة ١٩٥٢ ، وهو وقت ملائم من عدة وجوه ، منها أنه أوان العمل والنشاط في المعاهد والهيئات الثقافية وغيرها ، ويستطيع الضيوف أن يطلعوا على مختلف النواحي وتنظم لهم الرحلات إلى هنا وهناك فيطالعوا أوجه النشاط المختلفة في أحسن أحوالها

ونظرت اللجنة بعد ذلك في الموضوعات التي قرر المؤتمر الثاني أن تكون موضع دراسة المؤتمر الثالث ، وهي — بعد أن نظمتها وصفتها اللجنة الثقافية التي عقدت في الصيف الماضي بالاسكندرية : —

١ — طبع التعليم في مختلف البلاد العربية بالطابع القومي الذي يقوم على خصائص الثقافة العربية وخير ما في الثقافات الغربية . وقد تقرر تكوين لجنة من الأساتذة سعيد العريان وبديع شريف ومدحت فتفت والملحق الثقافي بمفوضية المملكة الأردنية — لبحث مناهج التعليم والكتب الدراسية المقررة في الدول الأعضاء لمواد اللغة العربية والتاريخ والجغرافيا والتربية الوطنية لبيان مدى ملاءمتها لتحقيق الغرض من هذا الموضوع وهو طبع التعليم بالطابع القومي .. الخ ، وبيان صلة ذلك بما قرر المؤتمر الثقافي العربي الأول من القدر المشترك الواجب تدريسه لكل تلميذ من تلاميذ البلاد العربية في هذه المواد . ولوحظ في أثناء بحث هذا الموضوع أن مصر في الوقت الحاضر بصدد وضع مناهج جديدة تطبيقاً لقوانين التعليم الأخيرة ، وفي ضوء ما يسفر عنه تقرير اللجنة بعد استيفاء وسائل الاتصال بوزارات المعارف يكون بحث المؤتمر في هذه المسألة

٢ — تحقيق الوحدة اللغوية في المجتمع العربي حتى تصبح اللغة الفصحى لغة العلم والحياة معاً ، ورؤى أن هذا الموضوع يستحق أن يأتي فيه بعض الأعضاء بحثاً يتتبع فيه مدى رقي الفصحى في البلاد العربية وتطورها تبعاً لانتشار التعليم ، مع القصد إلى بحث موضوع تيسير تعليم العربية في ضوء المشروع الذي أعده مجمع فؤاد الأول للغة العربية من نحو عشر سنوات لتيسير تعليم قواعد العربية

٣ — نشر الثقافة بين الكبار . تألفت لجنة لهذا الموضوع من الأساتذة سعيد العريان وبديع شريف وزكي المحاسني ، واقترح معالي الرئيس أن ينضم إليها الأستاذ محمد فريد أبو حديد بك باعتبار تخصصه وتجربته في هذا الموضوع

٤ — تعميم التعليم الأساسي كوسيلة من وسائل مكافحة الأمية ، وقد رؤى إرجاء النظر في هذا الموضوع إلى أن تتبين نتائج التجارب المختلفة التي تجريها فيه « اليونسكو » بمصر

٥ — بحث موضوع الكتاب المدرسي : يدخل بعض هذا الموضوع في نطاق البحث الذي تقوم به اللجنة المؤلفة للموضوع الأول

٦ — النظر في مدى تنفيذ ما اتخذ في المؤتمرين السابقين من قرارات ، وسيدلي كل وفد من وفود الدول الأعضاء بموقف وزارة المعارف في بلاده من هذه القرارات

وستوالي اللجان التي ألفت لبحث بعض موضوعات المؤتمر اجتماعاتها على أن تفرغ من عملها قبل أول مايو القادم ، ثم تجتمع اللجنة الإعدادية للنظر في أعمال اللجان الفرعية

عباس خضر



السنوسية دين ودولة

تأليف : الدكتور محمد فؤاد شكرى

للاستاذ محمد محمود زيتون

«درج الكتاب من الإفرنج على اعتبار السنوسية إحدى الطرائق الصوفية فحسب ، وانبرى الطليان من سنوات مضت يعملون لتعزيز هذا الاعتقاد بكل الوسائل ، يحدوهم إلى ذلك الأمل فى صرف أذهان سواد الناس عن التفكير فى أصول السنوسية الحقة والتسليم بأنه ما دامت السنوسية طريقة من الطرق الصوفية فهى بعيدة كل البعد عن العناية بغير شؤون الدين ، بل ولا يحق لها أن تعمل لمطالب الحياة والدنيا ، ووجه الخطر فى هذا الاعتقاد — إذا رسخ فى الأذهان — ظاهر واضح ، ذلك بأنه يحرم السنوسية — كنتيجة منطقية فى النهاية — من التطلع إلى الحكم وتشييد صرح الدولة الإسلامية المتيدة ، تلك الدولة التى جاهد الليبيون سنوات طويلة من أجل إرساء قواعدها فى ليبيا ، ومع ذلك فقد فات الطليان ومن حذا حذوهم أن الاسلام لا يعرف تفرقة بين شؤون الدين والدنيا، ولا يفصل بين العقيدة والدولة . وما كانت السنوسية فى أدوار تاريخها الحافل (طريقة) تقصر اهتمامها على شؤون العبادة من غير نظر فى أحوال الشعوب التى أخذ (الإخوان) السنوسيون على عاتقهم إرشادها حتى تتحرر من قيود الجهالة وتنعم بهدى المعرفة »

بهذه الفقرة يفتتح المؤلف تصديره لكتابه الذى تقدمه للقراء فى هذه الفترة التى تلفت الأنظـــار إلى المملكة الليبية الناهضة كثمرة الدعوة السنوسية فى هذا القطر الشقيق

وتقديم هذا الكتاب إنما هو تعريف بتاريخ النضال الذى اضطلع به هذا الشعب المسلم المجاهد الذى طرح عن كاهله نير العبودية فى قوة وجلد ، فما أوهنت عزائمه تقلبات العثمانيين ، ولا فتت من أعضاده فظائع الطليان ودسائس الألمان ومخازى الفرنسيين والإنجليز

وثمة ميزة أخرى لتقديم هذا السفر للقارئين فى هذا الوقت: ألا وهى التنويه بحلقة من سلسلة الجهاد فى سبيل « الجامعة الإسلامية » التى شغلت ولا تزال تشغل قادة الفكر الاسلامى فى العصر الحديث ، وانطوت صحائف ، وما يزال هؤلاء القادة فى مكان الصدارة من التاريخ المجيد ، فضلا عن اعتزاز بلادهم بمآثرهم الاسلامية التى لا تنسى

أما ليبيا التى نعتز اليوم بنهضتها فإنها خضبت تراب بلادها بدماء الشهداء لا من أهلها فحسب ؛ بل من المتطوعين من شتى الأقطار الاسلامية ، كما أن كثيراً من المصريين بصفة خاصة كان لهم سهم وافر فى هذا الجهاد الصادق ، وما يزال الليبيون على ذكر من الأعمال التى قام بها عبد الرحمن عزام ، وصالح حرب ، وعزيز المصرى ، وعبد المنصف محمود ، والمرحوم محمود لبيب ، الذين خاضوا غمار المعارك الدموية ، مؤمنين باليقظة الإسلامية ، والوحدة العربية ، والحرية والاستقلال ، تحت ظلال السيوف ، كما أن الأمير عمر طوسون — عليه رحمة الله — كان جم النشاط فى جمع المال اللازم لحركة الجيران المناضلين عن دينهم وشرف الوطن

والدعوة السنوسية امتداد مستقيم للدعوة المحمـــدية التى جوهرها تنوير الأذهان وتحرير الأوطان، وقد اقتضت الظروف التى حاقت بالدول الإسلامية فى القرن الماضى يقظة فكرية شاملة ، ترسم أصحابها خطى النبى المصلح ، فلما صدق العزم ، تبين الرشد من الغى ، واتضحت السبل والأســـاليب ، ذلك بأن الاسلام مصحف ومنبر ، سيف وكتاب ، عبادة وقيادة ، عقيدة وشريعة ، رهبانية وإرهاب ، وبالجملة دين ودولة ، لهذا كانت السنوسية طريقة ودعوة وغزوة ، وما زالت تمضى فى سبيلها الرسوم من نظام اجتماعى إلى جمهورية فإمارة ثم ملكية

ولد زعيم السنوســـية الأول السيد محمد بن على السنوسى بالجزائر فى سنة ١٧٨٧ ونشأ فى بيئة علم وفضل ، وتنقل فى الأقطار الاسلامية مقتبسا من مناهل العلماء مناقشا وفاحصا ، وقد صقل التصوف من عنفوان شبابه ولكنه لم يحد من نزعته

الصادقة إلى « إحياء الملة الإسلامية وتوحيد الصفوف فى العالم الإسلامى للنهوض بالدين الحنيف نهضة صحيحة قوية » وأخذ يتزود من العلم ويمنحه للطالبين فى يسر وسماحة حتى ذاع صيته وأوجست منه خيفة شتى العناصر الجامدة فى فاس والقاهرة وصار « خطراً على الأمن العام » وألصقت به التهمة المأثورة « محاولة قلب نظام الحكم » فأصابه أذى كبير من الولاة والمشايخ ، وبانتقال الداعية الإسلامى الكبير إلى برقة بدأ « الإخوان » ينشئون الزوايا كنقط ارتكاز الدعوة السنوسية ، وكانت « البيضاء » أم الزوايا بمثابة المركز العام لهذا النشاط الذى دوخ الاستعمار

على أن السنوسية لم تكن دعوة لتطهير الدين من البدع والخرافات فحسب ، بل تعدت هذا النطاق إلى تحرير الرقيق من أهل (واداى) فكان سلطانها محمد شريف يشترى هؤلاء الأرقاء ويعلمهم فى الزوايا ثم يعتقهم ويبعث بهم إلى أهليهم لينشروا الإسلام فى الزنوج والوثنيين .

وليبيا الواقعة حينذاك فى نطاق الخلافة العثمانية لم تنس حقيقة هذا الدين الذى فتمسكت بأهدابه ، وعندئذ رأى العثمانيون فى السنوسية عاملا من عوامل الدعاية لهم ، فاستمالوا بالسنوسى الكبير على بث روح الألفة بين الناس ، ونشر السلام بين ربوع البلاد ، وسار ولاتهم فى ركابه كلما انتقل فى البلاد إلا أنهم مالبثوا أن قلبوا له ظهر المجن عندما بدأت السلطات العثمانية « تخشى من سلطان السيد فى الجهات التى أنشئت فيها الزوايا وكثر بها الاخوان والأتباع والمريدون » وعملوا على زعزعة مكانته فى نظر المسلمين حتى ناهضته العناصر الرجعية بالأزهر ، فلم يثنها ذلك عن المضى قدما

ولما توفى السنوسى الكبير سنة ١٨٥٩ انتقلت الإمارة إلى ولده المهدى الذى أخذ على عاتقه إتمام ما بدأه أبوه فزاد عدد الزوايا وتوغل فى الصحراء الكبرى ، وأوجد بها مراكز لتعليم الرماية ، فاتهمته فرنسا وتركيا وإيطاليا بتعطيل مصالح الاستعمار والتعصب ضد المسيحية واغتيال المكتشفين للصحارى . وتوفى المهدى فى أول يونيو سنة ١٩٠٢ وخلفه الشاب السيد أحمد الشريف حفيد السنوسى الكبير فواصل الجهاد ضد الفرنسيين وصمد لهم على الرغم من تخلى العثمانيين عنه حتى أسلم القيادة إلى ابن أخيه الراشد إدريس

وفى سبتمبر سنة ١٩١١ قطعت إيطاليا علاقتها بتركيا ، فأغار الطليان على برقة وطرابلس . فبدأت السنوسية صفحة عريضة من نضالها الشعبى الذى دام ثلاثين عاماً ، وتحققت الجامعة الاسلامية بصفة عملية فى تدفق المؤن والذخائر والمال والرجال على ليبيا من مصر والسودان والعراق والشام وتركيا ، وقام صالح حرب بدور جرىء إذ انقلب على الانجليز ودافع عن مقدسات الشعب الليبى ، كما أبلى البطل الشهيد عمر المختار أحسن البلاء حتى وقع أسيرا فى أيدى الطليان الذين حاكموه صوريا وأعدموه رمياً بالرصاص

وما إن اندلعت شرارة الحرب العالمية الثانية حتى تقدم الجيش (الأنجلوسنوسى) لطرد الألمان والطليان من ليبيا وتأمين الجناح الأيسر لمصر ، وقد سجل الأمير إدريس السنوسى فى هذه الخطوة لنفسه ولبلاده شرف المجاهد والسياسى العامل على تحقيق استقلال بلاده

وإذ وضعت الحرب أوزارها دأب السنوسى على ضم الصفوف فبويع بالإمارة على الأقطار الليبية: برقة وطرابلس وفزان ، حتى نودى به ملكا على مملكة مستقلة لم يكف عزام عن سرد قضيتها على الرأى العام والسعى فى انضمامها إلى هيئة الأمم المتحدة وبالتالى إلى جاراتها أعضاء جامعة الدول العربية

هذه هى قصة السنوسية كما عرضها الدكتور محمد فؤاد شكرى فى كتابه القيم « السنوسية دين ودولة » الذى بذل فيه جهوداً جبارة فى سبيل التحقيق العلمى ، فجاء عمله مثلا طيبا للنهج التاريخى الذى وضع دعائمه الأولى ابن خلدون . فقد تجنب السرد الممل . وعمد إلى التحليل والاستقراء ، وليس أدل على ذلك من فصل « الإمارة السنوسية » الذى خصصه لتفصيل دعائم هذه الدعوة وهى أصول دينية واجتماعية وسياسية واقتصادية

ومما يجدر بنا الإشارة إليه — كآخر أصل سياسى للامارة السنوسية — « تلك الوصية التى تركها السيد رحمه الله بإسناد رئاسة الطريقة السنوسية إلى الأكبر الأرشد من الأسرة

السنوسية . ثم نظام البيعة » وما نعلم مطلقاً أن للبيعة في الاسلام كتلك المراسيم التي تذكرها على الطاغوسيين ، فهل من الاسلام أن البيعة تستتبع تقليد المبايع سيفاً ومنحه كتابا وإلباسه جردا ، وإعطاءه سبحة ، وإقامة صلاة ومصافحة » فكانت هذه الصلاة وهذه المصافحة بمثابة المبايعة له بالإمارة من بعده ؛ وأجمع الإخوان و كبار السنوسية وشيوخها على قبول هذه الإمارة في حياة والده ثم بعد وفاته ، وعلى ذلك فكأنما جمعت السنوسية في نظام الحكم بين مبدأ الوراثة والصلاحية والعمل بمبدأ الشورى وحققت في هذا النظام بعض شروط الإمارة » . وينزع المؤلف إلى منطق التبرير الذي تراه يباعد بينه وبين منطقه المنهجي إذ يقول « ومن المعروف أن الشورى كانت ركناً من أركانها ، والواقع أنه لم يكن هناك مناص من هذه (البيعة) الاسلامية باعتبارها أصلا من الأصول التي قام عليها (بيت) شريف ينتهي في نسبه القرشي إلى الرسول الكريم » ... كذا ..

هذا ولا ننكر على المؤلف هذه الطاقة العلمية التي جعلته — في سبيل التحقيق والتحليل — يعتمد على أوثق المصادر ، ولا سيما الإيطالية بعد أن ترجمها له أصدقاؤه من الليبيين أنفسهم فذللوا أمامه كل عسير ، ثم هو يعتمد على رواية المعاصرين ممن أسهموا في النهضة الليبية بأوفر سهم ، وصدق الشاعر « فما راءٍ كمن سمعا » . والكتاب من منشورات دار الفكر العربي ، تلك الدار التي لا تفتأ تزود المكتبة العربية بالمؤلفات القيمة ، وترمي دواماً إلى هدف رفيع ، وغاية نبيلة، خدمة للقضايا العربية والإسلامية متخيرة لذلك العقول الكبيرة والأقلام الرفيعة ، فصدر الكتاب في ٤٢٤ صفحة من القطع الكبير والطابع الأنيق وثمنه خمسون قرشا

وإنه ليحق لكل دارس قومي أن يفخر باقتناء هذا السفر ، وإلى مثل هذا الجهاد التأليفي ندعو الباحثين في قومياتنا ونهضاتنا آملين الظفر — في آخر الأمر — بمؤلفات عريقة ، ودراسات دقيقة كهذا الكتاب

محمد محمود زيتون

توجيهات نبوية

تأليف الأستاذ عبد المتعال الصعيدي

للسيدة وداد سكاكيني

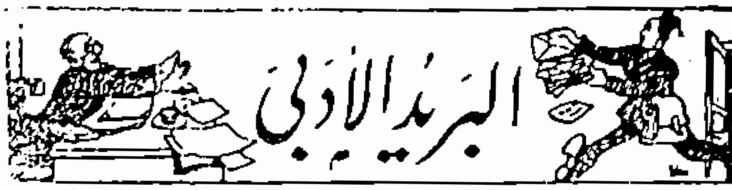
كانت هذه التوجيهات آخر ما نشر الأستاذ الجليل عبد المتعال الصعيدي من علماء الأزهر المجددين وقد ضمنها أربعين حديثاً محمدياً صحيحة السند موثوقة المتن والنقل ، اختارها المؤلف ملاءمة لروح العصر وتوجيه أهله في الدين والعلم والاجتماع. ولما كنا أحوج ما نكون في هذه الأيام إلى هذا التوجيه المحمدي الذي دعا إليه الرسول أو قام به ليكون قدوة تحتذى وسنة تتبع ، ففي كل عصر من العصور غمرة فساد وموجة طغيان ينهض لصد شرها ودرء عواقبها أهل الصلاح والإصلاح ممن آتاهم الله علما وفضلا

وهل كان شيء أجدى على الإنسانية الحيرى وأهدى في ردها إلى سواء السبيل من أحاديث الرسول وتوجيهاته التي كان يبصر بها الناس ويقيهم الانحراف والعثار ، وقد جعلها لهم دستورا رافدا لتعاليم القرآن ومنيرا للأمم في حياتها الاجتماعية

ولقد قسم المؤلف هذه الأحاديث الأربعين إلى فصول صغار شرح فيها الكلمات شرحاً لغويا وإعرابيا ، ثم بسط الغاية منها بسطا وافيا ، فكأنه يلقيها من على منبره في كلية الأزهر التي أسندت إليه تدريس الحديث في جلة عمله الجامعي

والأستاذ الصعيدي ذو دأب وتجديد في التأليف بالأدب والدين، لا لطلابه فحسب، بل لجمهور المثقفين بمصر وبلاد العرب، فهو إذا عرض دراساته الأدبية لم نجد كفايته وإتقانه مقصورين على هذه الدراسة ؛ إذ نراهما يتناولان جذور البحوث الدينية فتجيء مشبعة بالتحليل والاستقراء

ففي كتابه توجيهات نبوية أو محمدية يبلغ المدى في فهم الحديث على الوجه الذي فهمه الصحابة فيه ، ويقرر خلال الدرس والبحث نواحي المقارنة والمطابقة دون استطراد يتحرف بالقارئ أو تفصيل يضيق به كما اتفق لكثير من الشروح الدينية في زماننا.



بريد الرسالة الأدبي :

تنظر طائفة من الناس إلى (البريد الأدبي) للرسالة على أنه هامش لا يجدر بهذا الاحتفال الذى يتمثل فى التعقيبات المختلفة ما بين نحوية وصرفية ولغوية إلى تصحيح رأى ، ونقد فكرة ، والواقع الذى لا مرية فيه أنه باب حافل خليق بكل عناية ، فأقل ما يقال عنه أنه حرب على الأخطاء الشائعة التى يخشى منها ومن مثيلاتها على اللغة العربية الفصحى التى نسعى جاهدين فى صيانتها والحفاظ عليها ، ولا أعتقد أن واحدا من المعقبين يقصد إلى التشهير بالخطئ ، أو الزراية باللاحن ، ولا تعنيه (زبدة البحث وعصارة المقال) بمقدار ما يستهويه تسقط اللحن ، وتعقب الأخطاء

الرسالة مدرسة خالدة رصدت نفسهـــا منذ نشأتها إلى الذود عن لغتنا الحبيبة ، والدفاع عنها فى شتى النواحى والأبحاث. واللغة العربية فى محيطها مجموعة من الألفاظ السليمة القوية ، ونحن نريد أن نقيم الحواجز بينها وبين الدخيل الذى يحسب منها وهو شوكة فى جنبها ، لا ينفأ يخزها فى مقال الكاتب ، وخطابة الخطيب ، وعلى لسان المتحدث . وإن تعجب فعجب أن نرى الأستاذ المنيفى فى العدد (٩٧١) من الرسالة يخذل عن هذه المهمة ، لأن تصويب الأخطاء الشائعة الشائهة (كما يقول) « عسير المضم على أفكار الأدباء والكتاب ؛ لأن الكلمة قد أخذت مدلولها بين المتكلمين ، بيد أن تصحيحها لا يضفى عليها معنى جديدا ، أو زيادة مستحدثة » . واعتقد أن عسر المضم ، ومشقة الإساغة وضيق الصدر ، كل أولئك يهون فى سبيل الحرص على سلامة اللغة وصونها من العبث . كان أولى أن يحمد للباحثين فى المعاجم صنعهم ، فهم يقدمون له ولغيره البيان الشافى فيما يرتاب فيه ، وليس ضئيلا أن يضيف إلى معلوماته فى كل عدد طائفة أخرى من الألفاظ المتخولة المنقاة . . إننا نخشى أن تفتح الثغرة للدعى من الكلمات ، فلا يحجزه إلا أن يبارك الله (البريد الأدبى) وينسأ فى أجل « الرسالة » الحبيبة ، ويزايل الغضب من النقد البرئ صدور الناس ، فلا يضيق كاتب بتوجيه ، ولا ينكل قارئ عن بيان ، ولا يستنكف أستاذ عن تعلم ، وتلك هى أهداف الرسالة التى تجمع على الحق قلوب الأدباء ، وتشيد على المحبة صرح المجتمع ، وتدفع فى صراحة وقوة عن مجد العروبة

محمد محمد الأبشيهي

وأطرف ما وجدت فى هذه الأحاديث تحليل المؤلف لحديث النهى عن سب الدهر ، ولعل الدهر لم يتحمل سبابا مثلما تحمل فى زماننا ، فالأفراد يلومونه ويرمونه بالجور والعدوان ، والجماعات تعزو إليه أسباب الفشل فى الحياة ، ولو جمعنا شعر العرب من امرئ القيس إلى شوقى لأتينا على شعر لا يحصى فى سب الدهر وملامته ، ناهيك ما عند المعرى من ذلك

والنادرة الجميلة فى هذا الحديث — إن صح أن يكون فى الأحاديث نوادر — ما أورده المؤلف حفظه الله من تعليل لهذا الحديث وهو حث الإنسان على الرضى بما يصيبه فى الدهر وعلى عدم الشكوى فيه من الدهر

وقد علل وجود الشكوى باعثا على اليأس ، نعم إننا قد نيأس لأن اليأس مخلوق فى غرائزنا وشعورنا ، فالطفل الرضيع يمارس اليأس دون فكر ، والكبير يمارسه بفكر أو بفلسفة ، ولا مناص منه للانسان ليجد الرجاء ويفتح باب الأمل بمحاربة القنوط ، غير أن العلة فى النهى عن سب الدهر كالعلة فى النهى عن اليأس . ولليـــأس درجات أنكرها وأقصاها ما نهى عنه القرآن

كذلك نجد فى هذه التوجيهات المحمدية ضروبا من الأحاديث اللائقة لعصرنا وأهله ، فيها أدب وثقافة ، وفيها هداية ووقاية ، وقد وفق المؤلف باختيارها وشرحها إذ وضعها فى قنديله ، فشعت بنورها الجميل

وداد سكاكيني

اعتذار وشكر :

نشر بالعدد الماضي تحيتان للرسالة بمناسبة عامها الجديد حداهما من الحجاز والأخرى من العراق وقد اشتملتا على قدر عظيم من جميل الرأي وحسن الظن في الرسالة وصاحبها . وقد تعودنا في الماضي الطويل ألا ننشر شيئا مما يشبه ذلك . ولو أننا سنناه لكان من موجبات الذوق أن ننشر عشرات الرسائل التي تفضل بها علينا كرام القراء في هذا الموضوع . لذلك نعتذر من نشر مانشر ومن طي مالم ينشر ، شاكرين للسادة الكتاب والشعراء حسن تقديرهم وفضل تشجيعهم

لمن هذا الشعر

جاء في « نديم الخلفاء » من سلسلة اقرأ الصادر في فبراير سنة ١٩٥٢ للأستاذ عبد الستار أحمد فراج قوله : شرب الحسين ابن الضحاك يوما عند إبراهيم بن المهدي فجرت بينهما ملاحاة في أمر الدين والمذهب فدعا له إبراهيم بنطع وسيف وقد أخذ منه الشراب فانصرف وهو غضبان فكتب إليه إبراهيم يعتذر ويسأله أن يجيئه فكتب إليه الحسن : —

نديمي غير منسوب ... إلى شيء من الحيف

سقاني مثل ما يشر ... ب فعل الضيف بالضيف

فلما دارت الكأس ... دعا بالنطع والسيف

كذا من يشرب الخمر ... مع التنين في الصيف

وأقول : قد قرأت كثيرا في كتب التصوف وفيها هذه الأبيات بنصها منسوبة إلى الحسين بن منصور الحلاج الصوفي الشهير ، وفي ترجمته في الطبقات الكبرى للامام الشعراني : —

قال أبو العباس الرازي كان أخي خادما للحسين بن منصور قال فسمعته يقول لما كان الليلة التي وعد من الغد بقتله قلت ياسيدي أوصني قال : عليك بنفسك إن لم تشغلها شغلتك.. فلما كان من الغد وأخرج للقتل قال: حسب الواحد إفراد الواحد له ثم خرج يتبختر في قيده يقول :

نديمي غير منسوب ... إلى شيء من الحيف

ثم قال : « يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق » ثم ما نطق بعد ذلك بشيء حتى فعل به ما فعل !

تباين عجيب وفرق شاسع بين صاحب هزية في وصف الخمر وهذا العالم الرباني الفريد

وإلى أن يبين لنا الأستاذ عبد الستار فراج مرجع روايته نرجئ الكلام في هذا الموضوع

محمد منصور خضر

استفهام

في العدد الممتاز من الرسالة (٩٦٦) لسنتها العشرين ، وفي مقال الأستاذ عبد القادر المغربي « من مشاهد الهجرة ما فيه روعة وعبرة » وفي الصفحة التاسعة ، وفي السطر الخامس والعشرين من العمود الأول . يذكر لنا فضيلة الأستاذ الجليل أن سن الرسول كان عند دخوله المدينة المنورة نحو الخمسين . إذ يقول « فإذا لحيته الشريفة سوداء ليس فيها شيب . مع أنه أكبر من أبي بكر بثلاث سنوات وكان النبي في نحو الخمسين من عمره »

وأنا أعلم أن الكثرة الساحقة من الروايات تنص على أن الوحي نزل على محمد عليه الصلاة والسلام ، وسنه أربعون ، وأنه أسر بالدعوة ثلاثا ، وجهر بها في مكة عشرا ثم هاجر بعد ذلك ، فما الحكمة في أن يذهب الأستاذ الجليل في مقاله الرائع القيم هذا المذهب ؟

عبد الحافظ عبد الجبر كسبه



انتقام الاميرال

للقصصى الفرنسى أرنست دوديه

كان القصر العتيق يجثم كالحصن الجبار فوق صخرة عظيمة هائلة على سيف البحر. وكانت الشمس حينذاك تضيف للغروب وتنحدر رويدا من شارف السماء، إلى ما بين الأفق واليم، وقد سالت حولها أباطح الدم، وارتسم على جبينها الكلال والأين. ويشرف القصر أيضا على الطريق الممتد إلى «برست» وعلى قارعة هذا الطريق تقع الميناء وقد أطلت من ورائها سوارى السفن ومداخنها مصبوغة بألوان الشفق الزاهى الجميل … ومن نوافذ القصر الضيقة بان البحر كأنه بساط من سندس وإستبرق تجرى عليه السفن بقلاعها التى يهدهدها نسيم الأصيل فتتموج، وتداعبها الرياح الخفيفة فتترجرج … وتعلو من القصر المنيف قباب وأبراج شامخة فى الفضاء تتحدى الزوابع العاتية والعواصف الهوجاء .. وتحف أغصان الأشجار الفاء الوارفة بجدران تحركها الرياح الموانى فتبدو كمنقار جافة خشنة لطيف امرأة تضرب فزعا فى الليل المدلهم … وعندما غمق الليل وأجن السكون فى مسوحه الطاخى الأسحم، أزمعت السماء سحاب ثقال منشئات تحركها العواصف الموج فى شدة وعنف. وعب عباب الرياح فهاجت الأمواج الصاخبة الزبدة فراحت تصطدم بصخرة القصر الهائلة وتنحسر عنها فيسمع لها زئير كزئير الأسد وهزيم كهزيم الرعد

فى تلك الأثناء كان الأميرال المركيز «دى بك هيلوين» جالسا إلى مشد صغير وضع عليه بضع رسائل عفى على لونها الزمن فاصفر وحال، وبضع زهور ذاوية ونوط قلادة وشريط من الحرير الأزرق، وبجوار هذه الأشياء صندوق صغير مفتوح من خشب الأبنوس المطعم بالعاج، كان ولا ريب يضم تلك الآثار الغرامية المتناثرة على النضد. وبجلت أمارات الحزن العميق على وجه الأميرال بينما لمعت عيناه فجأة ببريق الغضب المسعور

وكان الأميرال رجلا رقيق البدن واهن العظم له وجه مغضن بارز العظام، وعينان غائرتان قد انطفأ فيهما التألق والبريق، ويدان معروقتان طريتا الأشاجع. وعلى الجملة كان بدنه المنهوك قد ذبل بفعل المرض الذى يفتك به فتكا ذريعا. ولقد فقد أميرال البحر العظيم قوة العزم التى كانت تسبح ثائرة فى دمه وتشع من عينيه، وخفت فيه ذلك الصوت الجهورى الملىء الذى كان يمزق العواصف ويطغى عليها. ولم تبق فيه ذرة من القوة التى طالما أعجب بها رجال أسطوله وبحارته من قبل. وأبت الجرأة والبسالة أن تسكنا ذلك الجسم الهدم الفانى ففارقتاه بعد إذ كانتا تفوران فيه فورانا حينما كان يزخر بقوة الشباب ويموج بفتوة الرجولة. واشتد به السقام حتى صيره هزيلا ناحلا. ولم يبق عليه المرض الجاثم فوق صدره إلا ليعالج هذه الجريمة النكراء التى اكتشف الآن فقط دليلها الحاسم، وليرى مدى قدرته على الثأر وهو من الموت قاب قوسين أو أدنى

لقد تسلم صباح اليوم رسالة من (نيس) حيث اعتاد أن أن يقضى فصل الشتاء من كل سنة، يقول فيها كاتبها: «لقد خلت أربع عشرة سنة وزوجك ممعنة فى خيانتك، دائبة على العبث بشرفك؛ والملاك وحدك الشخص الذى لا يعلم شيئا عن علاقتها الآثمة بمساعدك السابق الكابتن «فوشيرون». وإذا أردت على ما أقول شاهداً ودليلا فاذهب إلى مخدع المركيزة، فهناك من ناحية رأس السرير ترى تحت إحدى الصور المعلقة خزانة فى الحائط، بها صندوق صغير. افتح هذا الصندوق واقرأ ما فيه، فستنقشع الغشاوة عن عينيك، وتتبين بوضوح ما غاب من بصيرتك كل تلك السنين المواضى»

وعزا المركيز هذه السعاية إلى خادم مطرود. لذلك قضى سريعا على ما أثاره الخطاب فى نفسه من شكوك وأوهام، وفرك الرسالة فى يداه وهم بتمزيقها لولا أن حاك الشك فى صدره فأرجع الكتاب يتلوه مرة أخرى … وللمرة الأولى فى كل حياته مع زوجته ساوره الظنون والريب. وتحامل على نفسه وغادر مضجعه، ثم راح يجر نفسه جرا، وفى الحرز المبين فى الكتاب

آلى أدلة الاتهام السود

وراح يتمثل ويعجب كيف مرت عليه هذه السنون الطوال وهو غارق فى لجج هـذا الوحل دون أن يدرى ... ها هـو ذا يمضى إلى مثواه الأخـير تكتنفه قرائن الجريمة الدنسة التى اكتشفها اليوم نقط هازئة سـاخرة ... فكيف إذن يتسنى له الثـأر لنفسـه من هذين المجرمين قبل أن ينطفئ سراج حياته الخافت الضئيل

بالخيانة والغدر ! أزوجه التى شملها بحبه ووهب لها كل قلبه ؟ ! ومرؤوسه الذى أمطره بوابل من عنايته ، وغمره بفيض من صداقته .. بالأمار وبالأدرن ! أنسى هـذا السافل الخؤون ، هذا الجـاحد الكنود ... أنسى كيف كان يرعاه كابنه وزيادة ؟ وهـذه الشقية زوجه ؟ لا نكران أنه اقترن بهـا والفرق بين عمريهما جد كبير . إذ كانت فى العشرين وهـو فى الخمسين ... بيد أنه ليس ثمة من ينكر أيضـا أنه انتشلها من وهدات اليتم والمسغبة ، وأسبغ عليها لقبه المجيد التالد وقلدها فى ثرائه الواسع وضمن لها الحماية والرعاية فى حياته ، وسيخلع عليهـا من ثرائه درعا يقيهـا من بعده عدوان النـاس وغدرات الزمن . أبدا .. ما أرغمها امرؤ على الزواج منه ، بل كان هذا على اختيار منهـا ورغبة ... ولم يكن يوما ليني عن تلبية رغبة لهـا مهما صعبت وشقت . فالصيف فى الريف الجميـل السـاحر ، والشتاء فى أرفع فنـادق باريس الفواخر . أو إذا شـاءت فى قصره المنيف فى « نيس » . فى كل حفل كانت تبدو زينة الأتراب والصواحب ، وفى كل جمع كان يعلو بهـا اسم زوجها إلى أرفع مكان وأسمى منزلة بين سـائر الغنيات والعقائل . وبينا كان يثق فى وفائهـا وإخلاصها ويعجب بجمالها وفتنتها ويتيه لسحرها وأنوثتها ، إذا هى تخونه وهو لا يدرى

لقد خدم بلاده أربعين سنة سويا . حارب فى أفريقيا وفى المكسيك ، وحاز أرفع القـلائد والأوسمة ، وجلب المجد والفخار لابنه ... ثم ماذا بعد كل تلك الحيـاة الحافلة بجلائل الأعمـال وطيب المـآثر ؟ عار تجلبه عليه هذه المخلوقة الشقية وهو من الموت على شفا جرف هار

وليت الأمر قاصر على هذا فحسب ، بل جرته إلى شك مظلم يتخبط فيه حتى ليكاد يذهب عقله فيمضى إلى رمسه مخبولا . ابنه « باتريك » زهرة آماله وعمره الثانى ... ابنه هو ، أم ابن غريمه فوشيرون ؟ باتريك . لقد شب ونما فى قصره المنيد حيث تقضى أمه كل شتاء وحيث كان يذهب هو ليعانقه ويتملى من رؤيته . إنه يبدو قويا كغصن شامخ فتى ، ويتجلى الزهو والـكبرياء فى نظراته ، ويبدو الصلف والخيـلاء فى افتلته ، وتنطلق ملامح وجهه بقوة العزم وشدة المراس . ياله من إله صغير من آلهة القوة والجمال ! خير خلف لأشرف سلف . ومما زاد الرجل تعلقا بابنه وحبا له أنه ورث عنه قوة العزم وصلابة الرأى وثبات الجنان

والآن تقضى هذه الجريمة التى اقترفتها زوجه على كل تلك الذكريات السـامية حول ابنه وذلك الإعجاب الذى يجنه الرجل لوحيده

وأمسك الرجل التعس رأسه الثائر بين كفيه كأنه يمنعه من الانفجار ، وسرت حمى الغضب فى دمه فغمغم وهو فى تلك الحال من اليأس والضعف والمرض

— سأنتقم لنفسى ... سوف أثأر لشرفى ...

ولـكن كيف ؟ أيقتل ذينك اللذين لوثا اسمه ولطخا شرفه وكيف السبيل إليهما وهذه الفراسخ المديدة تفصلهما عنه . فلا هـو بمستطيع أن يبلغهما ، ولا هما ببالغيه قبـل أن يموت ... وأوغل فى سبل الانتقام الـكثيرة المتشعبة ... وأغطش الليل ولما يهتد فكره إلى سـبيل يبلغه طيته فيشفى غليله ... واستلقى على الفراش بقلب ممزق وأضلع تكتنز نارا تكاد تأتى على بقايا جسمه المحطم

وعندما انصدع عامود الفجر أقبل طبيب الطوافة « المتيد » التى اعتلاها مع الأميرال طويلا، ليعود رئيسه العليل؛ وذعر لدى رؤيته وجه رئيسه الشاحب الممتقع، ودهش لتقدم المرض السريع فى يوم وليلة ... ونم وجهه عن ذعره ودهشته فقال الأميرال :

— قل إنى انتهيت يا دكتور

لم يضع الأمل بعد يا سيدى ... إنك فى حال سيئة ولكن ...

— لا تراوغنى : لقد صمدت للموت مراراً ، ولا أود أن يأخذنى هذه المرة على حين غرة . قل الحق إنى آمرك ...

فظل الطبيب صامتاً لا ينبس دقيقتين قال بعدهما :

— سيختارك الله هـذا المساء على الأكثر ياسـيدى إن لم تحدث معجزة

وتلقى الأميرال الصدمة بكل ثبات ... قال :

— حسن ... وستعودنى طبعاً مرة أخرى ... أليس كذلك؟

— بالتأكيد ياسيدي الأميرال. الاتحب أن تخطر سيدتي المركيزة؟

— رأى جدوى في ذلك وهي في نيس. ثم إني لا أود أن أحملها الحزن فجأة. إنها تعلم أني مريض، وستعرف على كل حال أنها ترملت، ولكن يجب أن يكون هذا بعد أن أموت

فانسحب الطبيب

وقابله باتريك لدى الباب فقال له:

كيف أبي؟

فلم ينبس الطبيب بل أجابت عنه عيناه، فأسرع الصبي نحو أبيه بقلب جزوع. فنهض الأميرال بجهد جهيد على مرفقه وقال:

— ادن مني يا بني. إن لي حديثاً معك ... إنك في الثانية عشرة من عمرك ياباتريك، ولكني مضطر ان أحدثك كأحدث رجلا

ولم يأخذ منهما الحديث طويلا. ولكن حينما انتهى ومضت عينا الصبي ببريق من نار، وتثلج بدنه حتى كأنما انتقلت برودة الاحتضار من بدن أبيه إلى بدنه. وفي أثناء هذا الوقت القصير انتقل فجأة من طور الطفولة إلى طور الرجولة، وما تحمل من متاعب وأعباء

وفي السنة التي تلت ذلك، أي بعد موت الأميرال بعشرة أشهر أو تقل راح الناس يلغطون بقرب زواج أرملته من الشاب الوسيم القسيم فوشيرون. تناقلوا ذلك فيما بينهم في غمز ولمز كأنما كان ذلك عين ما يتوقعون. ويبدو أن العاشقين قد آثرا بعد علاقتهما الدنسة الآثمة أن يرتبطا بعلاقة يقرها العرف والدين

ووصل الكابتن فوشيرون ذات صباح إلى القصر العتيد حيث تنتظره المركيزة مع ابنها بعد إذ تقضي زوجها نحبه

وعند ما متع النهار وارتفعت الشمس دخل باتريك على أمه يحمل من الأعباء ما ينوء به عمره الصغير. قال لها:

— أحقا أنك تمدين اليد للزواج من الكابتن فوشيرون يا أماه؟

فأجابته بصوت مضطرب

— من أبلغك هذا؟

لم ينبس الغلام. فاستطردت المرأة

— على كل يجب ألا يستجوب الغلام أمه

— إني لا أقبل مهما يكن الأمر أن يشغل الكابتن فوشيرون مكان أبي

لا تقبل! ماذا تقصد بهذا المراء؟ ثم أشارت إلى الباب ماضية واستأنفت

— أخرج من هنا حالا ياسيدي

فانصرف من لدنها إلى غرفته، ثم غادرها بعد بضع دقائق إلى غرفة فوشيرون واقتحمها دون استئذان واضعاً إحدى يديه في جيب بنطلونه

وكان فوشيرون يحلق لحيته أمام مرآة، فاستدار نحو باتريك وقال:

— إن اللياقة تقضي بدق الباب قبل الدخول

إنه بيتي يا سيدي، ومن حقي أن أدخل أية غرفة فيه بدون دق ولا استئذان، ثم إن لي حديثاً معك

— لك حديث معي؟ تكلم

— إني أعلم سبب وجودك هنا. وإن ما تبغيه لا يمكن أن يتم. ويجب أن ترحل الليلة على ألا تعود أبدا. إنني أمنعك من الزواج بأمي

— إنك مجنون ولا ريب أيها الطفل

— من الخير لك أن تطيعني

— فشحب وجه فوشيرون من شدة الغضب. وومضت عيناه من فرط الغيظ. وقال:

— أخرج أيها الغرير وإلا عركت أذنيك. واتجه نحو باتريك رافعاً يده. فتراجع الغلام عنه ثمة وأخرج من جيبه شيئاً كان يخفيه، مسدساً ورفع به يده. ضغط الزناد، فانطلق

فانشق صدر فوشيرون عن صرخة هائلة دوت في سكون القصر العميق. وترنح ثم سقط جثة هامدة وقد اخترقت الرصاصة جبينه ...

وأقبلت المركيزة على عجل ورأت كل شيء ... ثم صرخت تقول بعد أن ألقت بنفسها على ابنها وجردته من سلاحه

— ماذا فعلت أيها الشقي؟

وتركها باتريك تأخذ منه السلاح ثم قال: وقد رآها ترتمي على الجثة تبكيها وتندبها!

— لقد أنبأني أبي قبيل وفاته أن هذا الرجل عدو لي وعدو لك، وأوصاني بحمايتك من شره وغدره حتى ولو أدت الحال إلى قتله. وقد نفذت وصية أبي

ثم أشيع بين الناس أن الكابتن فوشيرون مات منتحراً

م . ع

مطبعة الرسالة

العدد ٩٧٤ — ٣ مارس سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الرسالة والرواية

فهرس العدد

مجلة إسبوعية للآداب والعلوم والفنون

جامعة ابراهيم باشا الكبير
كلية طب العباسية ــ اعلان

تعلن كلية طب العباسية عن وجود وظيفة معيد (ب) كل الوقت خالية بقسم الأقرباذين بالكلية

ويشترط فيمن يتقدم لها ان يكون حاصلا على درجة بكالوريوس فى الطب والجراحة من إحدى كليات الطب المصرية بدرجة جيد على الأقل

ويجب على من يقع عليه الاختيار أن يتفرغ لعمله بالكلية فلا يسمح له بمزاولة المهنة خارج الوظيفة على اية صورة كانت ويمنح نظير ذلك بدل تفرغ قدره عشرة جنيهات شهريا فوق الماهية

وعلى المرشح أن يتعهد بعدم التقدم لأى دبلوم او ماجستير او دكتوراه اكلينيكية لمدة ثلاث سنوات من تاريخ تعيينه . وتقدم الطلبات برسم حضرة صاحب العزة عميد كلية طب العباسية فى بحر عشرة ايام من تاريخ النشر

والموظفون يقدمون طلباتهم عن طريق المصالح التابعين لها ٩٣٣

الانسان بين المادية والاسلام

الكتاب الأول فى المكتبة العربية

الذى درس نظرية الاسلام عن الانسان دراسة علمية ووازن بينها و بين النظريات المادية لدارون وفرويد و التجريبيين والمذاهب المادية الاشتراكية والشيوعية . و نظرية المسيحية الروحية

وحلل المشكلة الجنسية والجريمة والعقاب والقيم العليا وعلاقة الفرد بالمجتمع فى الاسلام وغير الاسلام

تأليف

الأستاذ محمد قطب

خريج كلية الآداب ومعهد التربية

٢٩٠ صفحة كبيرة وثمنه ٤٠ قرشا عدا البريد — يطلب من :

عيسى البابى الحلبى وشركاه

صندوق البريد رقم ٢٦ الغورية ومن المكتبات الشهيرة